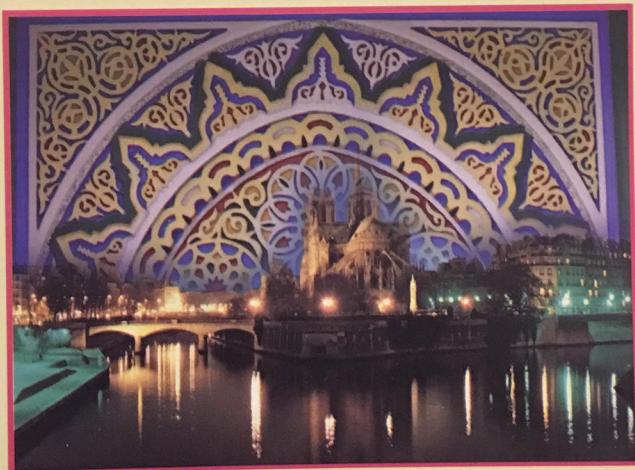


علي بن إبراهيم النَّمْلَة

مناهي التأثير والتأثير
بين الثقافات:
الملاقبة بين شرق وغرب



مناهي التأثير والتأثير بين الثقافات:
المثقفة بين شرق وغرب



(ح) علي بن إبراهيم النملة، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة، علي إبراهيم
مناهي التأثر والتأثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب. /علي إبراهيم
النملة. - ط٢. - الرياض، ١٤٣٤هـ

١٦٠ سم × ٢١,٥ × ١٤,٥

ردمك: ٧ - ٣٢١٥ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الشاقفة ٢ - التبادل الثقافي ٣ - التعاون الثقافي أ. العنوان

١٤٣٤/٩١٢٥ ٣٠١،٢٤١ دبوسي

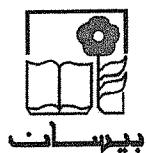
رقم الإيداع: ١٤٣٤/٩١٢٥

ردمك: ٧ - ٣٢١٥ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨



علي بن إبراهيم النملة

مناهي التأثير والتأثير بين الثقافات:
المثقفة بين شرق وغرب



• اسم الكتاب: مناهي التأثير والتأثير بين الثقافات: المثقافة بين شرق وغرب

• المؤلف: علي بن ابراهيم التمّلة

• الطبعة الثانية: آب (اغسطس) 2014 م

ISBN 978 - 614 - 417 - 991 - 8 •

• جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

• لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو باي طريقة سواء أكانت «الكترونية» أم «ميكانيكية»، أم بالتصوير، أم بالتسجيل أم خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً.

• الناشر: بيسان للنشر والتوزيع

ص. ب: 5261 - 13 - بيروت - لبنان

تلفاكس: 00961 1 351291

E-mail: info@bissan-bookshop.com

Website: www.bissan-bookshop.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«لِيُسَ الْكُتُبُ الْكَبَارُ كُتُبًاً كَبَارًا لِأَنَّهُمْ أَتَوْا بِأَشْيَاءٍ لَمْ يُؤْتَ بَهَا مِنْ قَبْلُ، وَإِنَّمَا هُمْ كُتُبٌ كَبَارٌ لِأَنَّهُمْ أَبْرَزُوا أَشْيَاءً كَمَا لَوْ أَنَّهَا تَكْتُبُ لَأَوَّلِ مَرَّةٍ».

يوهان فولفجانج جوهه
(١٧٤٩ - ١٨٣٢ م).

(١) انظر: عادل الأسطة، إحسان عباس وحقق الأدب المقارن، نص الورقة التي ألقى في جامعة بيرزيت في ١٤/١٢/٢٠٠٥.

المستخلص

تصطفى هذه الدراسة خمسة مؤثرات رئيسة في مناحي التأثير والتأثير بين الثقافات، وتحاول بيان مدى تأثيرها وتأثيرها؛ المؤثر الأول هو الحضارة، وانتقالها بين الشرق والغرب، بما في ذلك الإفادة من العلوم والعلماء، والمؤثر الثاني البعثات التعليمية الشرقية إلى الغرب، ومدى تأثيرها على الغرب في ضوء النظر إلى تأثيرها به، والمؤثر الثالث الوجود العمالي الشرقي، وأثره في التنمية الغربية، ومدى تأثيره في المجتمع الغربي، والمؤثر الرابع يتمثل في المسلمين من المواطنين الغربيين، ومدى توفيقهم بين ثقافتهم الغربية واتمامهم للإسلام، على افتراض أنّ هناك إشكالية حضاريةً بين هذين البعدين، والمؤثر الخامس هو الاستشراق الأوروبي، واختلافه عن بقية الاستشارات الأخرى؛ الفرنسي والبريطاني والإيطالي والبولندي والإسباني والروسي، ثمَّ الأميركي وغيرها، ومدى تأثير الاستشراق الألماني وتأثيره وديمونته.

هناك مؤثرات أخرى لا تقلُّ أثراً وتأثيراً عن هذه المؤثرات الخمسة، تتجسد فيها مناحي التأثير والتأثير بشكل واضح، كالإعلام ووسائله، والاتصال ووسائله، والأداب والفنون، وتسويق العلمنة وفرض العولمة والديمقراطية الغربية الانتقائية، وحقوق الإنسان من

وجهة غريبة بالقوة الجبرية، التي رفضها من قبل العقلانيان يورجن هابرمانس وبيار هسنار، والنفوذ والتلقي والهيمنة، والبعثات الدبلوماسية، والتبادلات التجارية، وغيرها من المؤثرات التي يغلب عليها في الوقت الراهن الاتجاه الواحد من الغرب إلى الشرق، مما تجسّدت فيه الرغبة في التأثير دون التأثر. ومن تلك المؤثرات ذات الاتجاه الواحد أيضًا الحملات التنصيرية المستمرة داخل المجتمعات المسلمة خاصةً والمجتمعات النامية عامةً، تلك الحملات التي لم تخلُ من قدر يسير جدًا قد لا يُذكر، من التأثر العكسي بالثقافة الإسلامية المستهدفة، وهو تأثر غير مرغوب فيه من الجمعيات التنصيرية، وغير مقصود من قيادات المنصرين أنفسهم.

الإشكال الذي تحاول هذه الدراسة تجليه هو غلبة النظرة إلى التأثر بالحضارات والثقافات الأخرى في زماننا هذا على حساب النظرة إلى التأثير بها، في تغييب غير موضوعي - ومتعمّد أحياناً - من قبل بعض المؤرخين الغربيين للحضارة والثقافة، وبعض المستشرقين، للمؤثر الإسلامي المنبع من أثر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في صياغة العقليّة الإسلامية، بحيث أصبحت هذه العقليّة مهيئةً للنظر والإبداع في الكون، على اعتبار أنَّ هذا الأثر يقوم على حُثِّ القرآن الكريم على النظر والاعتبار والتأمل في آفاق الكون ومكونات النفس.

جاءت هذه الغلبة في النظرة الغربية من خلال التجاهل الواضح للأثر الإسلامي في بناء الحضارة الإنسانية في غالب



الدراسات ، ومن خلال تغيب أثر علماء المسلمين وإنجازات المسلمين الحضارية ، رغم الأخذ عنهم. وهذا اتهام له ما يثبته في التراث العلمي الغربي للتاريخ للعلوم ، حينما تتجاهل الحقبة الإسلامية التي مارست الأثر الكبير في نقل العلوم اليونانية والهنديّة والفارسية إلى اللغة العربية مباشرةً أو عن طريق اللغة السريانية ، ثم جرى نقلها من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبيّة. وقد انبثت عدد من علماء تاريخ العلوم العرب والمسلمين وبعض المستشرقين لهذه المشكلة في محاولات لإعادة التركيز على الأثر الإسلامي في بناء الحضارة الإنسانية. والشواهد على هذه الجهود كثيرة.

لا تسعى هذه الدراسة الموجزة إلى استقراء العلاقة بين الشرق والغرب التي انطلقت منذ سنة ٥٠٠، أو قبل ذلك أو بعد ذلك إلى أيام الخلافة العثمانية ، التي شهدت علاقة خاصةً مع الغرب ، فهذا موضوع على أهميته إلا أنه واسع جداً ، ولكنها تبحث في عوامل محددة كان لها أثر وتأثير على العلاقة بين الغرب والشرق عموماً ، وعلى المسلمين والغربيين خصوصاً ، على اعتبار أنَّ مناحي التأثير والتأثير أو مناحي التفاعل والتفعيل ، أو منحى الاقتباس في أحد جوانبه ، هو ، كما يقول إبراهيم العاني : «ظاهرة طبيعية في إطار الحضارات ، حتى أننا لا نستطيع أن نجد حضارة خلت من عناصر خارجية أثرت فيها أو ساعدت على نشوئها ، غير أنَّ ذلك لا يقلل من قيمة تلك الحضارة ولا يلغى شخصيتها».

مناحي التأثير والتأثير تقتضي التعرُّف على العلاقات بين

الثقافات المتلاحقة والمتعارضة، ومدى إفاده بعضها من بعض. وتتعرّض الدراسة لمفهوم الخصوصية الثقافية الإسلامية في المجتمعات غير المسلمة، وتوكّد على التركيز على هذه الخصوصية الدافعة، لا الحاصرة، وأخذها في الحسبان عند سنّ النظم والقوانين الغربية التي تحكم العلاقات الإنسانية والاجتماعية.



المدخل

الحمد لله رب العالمين رب المشارق ورب المغارب، والصلوة والسلام على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فيعود اهتمامي الشخصي بمناحي التأثير والتأثير بين الثقافات إلى نهاية سنة ١٣٩٦ هـ الموافق نهاية سنة ١٩٧٦ م، عندما كنت في مطلع بعثة دراسية في الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت انطلاقه البعثة التعليمية قد بدأت بدراسة اللغة الإنجليزية في جامعة تمبيل بمدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

في «بھو» المعهد وقفت أحاديث راهبةً فيتناميةً متقدمةً في السنّ ممن تم تنصيرهن من الفيتนามيين إبان الحرب الأمريكية - الروسية في فيتنام، وقد جاءت بمنحة من الكنيسة لتدرس اللغة الإنجليزية. كانت لغتها ركيكة وكانت لغتي كذلك، فمرّ بي أحد زملائي منبني قومي وأسرّ في أذني: بدأْتِ يكَ يا علي؟! وكان يتوجّس أنّ أكون أول ضحايا التنصير من دفعتنا.

كان رد فعلي الذي لم أطرحه على زميلاً هذا: ولماذا لا أبدأ

بها؟! لقد أغلق زميلي في استنكاره هذا جانب التأثير من قبلني، وفتح باب التأثير على مصراعيه، لا سيّما أني كنت حينها شاباً وهي راهبة. وهذه مشكلة يعاني منها عدُّ غير قليل من الطلبة والعاملين الشرقيين في الغرب، لا سيّما المسلمين منهم حينما يتعرّضون للتنصير.

منذ ذلك الموقف وأنا أفكّر في مسألة التأثير والتأثير بين الثقافات، وأخالط أطياف المجتمع الغربي، بمن فيهم المنصّرون من طائفة شهود يهوه وغيرهم، في حوارات كان يتضايق منها بعض زملائي ويختلفون علىّ منها. ^(١)

لا تسعى هذه الدراسة الموجزة إلى استقراء العلاقة بين الشرق والغرب التي انطلقت منذ سنة ٥٠٠ م، أو قبل ذلك أو بعد ذلك إلى أيام الخلافة العثمانية التي شهدت علاقة خاصة مع الغربيين، وعلى الأخصّ الألمان منهم، فهذا موضوع على أهميّته إلا أنه واسع جدًا، ولكن الدراسة هذه تستعرض بعض عوامل محدّدة كان لها أثر وتأثير على العلاقة بين الغرب والشرق عموماً، وعلى المسلمين

(١) كان من نتائج هذا الموقف أيضًا عنايتي بالتنصير وكتابتي عنه مقالات علمية وصحفية وكتباً، لعل من أهمّها: التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط٥، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٧٠ ص. والتنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد ورائي للمطبع، ط٢، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٤١٨ ص. والمستشارون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشارين المنصّرين، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ١٧٨ ص. وغيرها مما تضمّن عرضاً للتنصير.

والغربيين خصوصاً، على اعتبار أنَّ مناحي التأثير والتأثير أو مناحي التفاعل والتفعيل، أو مناحي الاقتباس في إحدى جوانبها، أو مناحي التأثير القوي بالقوَّة الجبرية أو القسرية، التي جاء رفضها من قِبَل العقلاتيَّن يورجن هابرماس وبيار هسنار،^(١) هي «ظاهرة طبيعية في إطار الحضارات، حتى أنت لا تستطيع أنْ نجد حضارة خلت من عناصر خارجية أثَّرت فيها أو ساعدت على نشوئها، غير أنَّ ذلك لا يقلُّ من قيمة تلك الحضارة ولا يُلغِي شخصيَّتها».^(٢)

تقتضي مناحي التأثير والتأثير بين الثقافات التعرُّف على العلاقات بين الحضارات المتلاحقة والمتعارضة، ومدى إفادتها بعضها من بعض. فهذا عامر الحافي يؤكد أنَّ «عملية التأثير والتأثير بين الحضارات والمجتمعات عملية واقعية لا مجال للتنكر لها أو التبرُّؤ منها، فالتفكير الإنساني بطبيعته المتراكمة وتركيبه المبدع يسير وفق التاريخ، ومن خلاله لا رغمًا عنه وفوقه، ولقد كان اللقاء الأوَّل بين الحضارة العربية والإسلامية والحضارة المسيحية، على أرض بلاد الشام والعراق ومصر».^(٣)

ويواصل الحافي قوله: «وقد أنتج هذا اللقاء علم الكلام، وتمَّ دمج العديد من العناصر الثقافية للبلدان المفتوحة، حيث كانت

(١) انظر: وائل غالبي، ما بعد الاستشراق، ٢ مج، القاهرة: دار الهلال، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ١: ١٢، (سلسلة كتاب الهلال؛ ٦٨٤).

(٢) انظر: إبراهيم العاتي، إشكالية المنهج في دراسة الفلسفة الإسلامية، بيروت: دار الهادي، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٦.

(٣) عامر الحافي، ابن رشد واللاهوت المسيحي في العصر الوسيط، مجلة الكلمة، ع ٢١ مج ٥ (خريف ١٩٩٨م / ١٤١٩هـ)، ص ٤٣ - ٥٦.



المدارس اللاهوتية المسيحية منتشرة. وبعد أربعة قرون كان لقاء ثانٍ في مكان آخر وهو أوروباً، وكانت الفلسفة هي أكبر نتاج لهذا اللقاء. وكانت طليطلة وصقلية أكبر بوابتين لدخول الفكر الفلسفـي الإسلامي إلى البلاد الغربية. ويؤكـد ماسينيون^(١) أنَّ الحوار بين المسلمين والمسيحيـة قد بدأ في القرن الثالث عشر بعد أنْ كان الجدل والمناظرة وسيلة المعرفـة الوحيدة بينهما». ^(٢)

الحوار :

والذـي يظهر أنَّ الحوار بين المسلمين والنصارى قد بدأ قبل ذلك الوقت بكثير، فقد بدأ في القرن الأول الهجري، السابع الميلادي. والذي يبدو من قول ماسينيون هو الحوار الفلسفـي العقدي، وهذا أيضـاً قد بدأ قبل ذلك بكثير، ويمكن أنْ تكون بداياته مع بعثة هجرة المسلمين إلى الحبشـة، ^(٣) ثمَّ مع حوار الرسول محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله وسلامه مع الوفد النصراني من نجران. ^(٤) مع الأخذ في الحسبـان أنَّ هذا التـاج في الفلسفة أو الفكر

(١) ماسينيون، لويس، massignon، ١٨٨٣ - ١٩٦٨: مستشرق فرنسي، عُـنى بالصـوفـية واهتمَـ بـنشر مؤلفـات الحـلاجـ. ترك مؤلفـات هامة في الشـؤون الإـسلامـية، المتـجدـ فيـ الأـعـلـامـ: دارـ المـشـرقـ، بيـرـوـتـ، الـطـبـعـةـ ٣٩ـ، مـ ٢٠٠٢ـ، صـ ٥١٣ـ.

(٢) عامـرـ الحـافـيـ، ابنـ رـشدـ وـالـلاـهـوتـ الـمـسـيـحـيـ فـيـ العـصـرـ الـوـسـيـطـ، المرـجـعـ السـابـقـ، صـ ٤٣ـ، ٥٦ـ.

(٣) انظرـ: محمدـ بنـ فـارـسـ الجـمـيلـ، الـهـجـرـةـ إـلـىـ الـحـبـشـةـ: درـاسـةـ مـقـارـنـةـ لـلـرـوـاـيـاتـ، طـ ٢ـ، الـرـيـاضـ: دـارـ الـفـيـصـلـ الـقـافـيـةـ، ١٤٢٥ـهـ/ ٢٠٠٤ـمـ، صـ ٧٠ـ، ٨٠ـ.

(٤) انـظـرـ: عـبدـالـسـلامـ هـارـونـ، تـهـذـيبـ سـيـرـةـ اـبـنـ هـشـامـ، طـ ٢ـ، الـقـاهـرـةـ: الـمـؤـسـسـةـ الـعـربـيـةـ الـحـدـيـثـةـ، ١٤٨٣ـهـ/ ١٩٧٨ـمـ.

الإسلامي لم يكن مرحبًا به لدى بعض الأوساط العلمية الإسلامية، على اعتبار أنّ الدين الإسلامي في جانبه العقدي لا يحتاج إلى هذا الكم الهائل من علم الكلام، الذي هو نتاج فلسفي لا يقرّه نخبة من علماء الإسلام الأوائل منهم والأواخر، ولا يقرّون مصطلح الفلسفة الإسلامية، وربما استعاضوا عنها بمصطلح الفكر الإسلامي الذي هو بدوره يخضع للوزن النصي أولاً والعلقي ثانياً من حيث القبول وعدمه، ومن حيث التأثير والتأثير، ومن حيث خفوت التأثير في بعض مراحل رحلة الفكر الإسلامي .^(١)

وربما استأنس الخائضون في علم الكلام من المنافحين عنه من منطلق متطرف، وبعد رحلات مضنية مع هذا المسلك أو المزلق الصعب،^(٢) بعبارة أبي المعالي الجوهري: «أشهدوا عليَّ أني رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأنِّي أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور». ولعله قصد الإيمان الحق الذي جاء به الكتاب والسنة.^(٣)

(١) انظر: السيد محمد الشاهد، الاحتياط الثقافي ومشكلة التأثر والتأثير، ص ٣٥، ٦٢، في: رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم، بيروت: دار المنتخب العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٢٣٢ ص.

(٢) انظر: السيد محمد الشاهد، رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم، المرجع السابق، ص ٢٥ - ٢٨.

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء وهو يترجم لأبي المعالي الجوهري: «وحكى الفقيه أبو عبدالله الحسن بن العباس الرستمي قال: حكى لنا أبو الفتاح الطريقي الفقيه قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: «أشهدوا عليَّ أني رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأنِّي أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور». انظر: الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ٢٥ مج، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ١٨: ٤٧٤.

قد يعبر عن هذه الحال بالخضوت أو التأثر الثقافي، حينما يتسلّم القياد الثقافي أمّةً غير تلك التي كانت تؤثّر في غيرها، فتتحوّل هذه الأمة من مؤثّرة إلى متأثّرة، إلا أنَّ تأثّرها قائمٌ على تأثّر من أثر بها هي من قبل، في دورة ثقافية حضارية تقوم على مفهومات أو نظريات؛ مثل الموازنة أو المقارنة والتوازي والتناص أو (انتقال المضامين).^(١) وستأتي إشاراتٌ إلى ذلك في المؤثّر الأوّل من مناحي التأثر والتأثير.

الإشكال الذي تحاول هذه الدراسة تجلّيه هو غلبة النّظر إلى تأثّر المسلمين بالحضارات والثقافات الأخرى المعاصرة، الغربية تحديداً على حساب النّظر إلى التأثير الإسلامي بها، في تغييب غير موضوعي ومتعمّد أحياناً من قبل بعض المؤرّخين الغربيين للحضارة والثقافة وبعض المستشرقين، وتبعهم بعض المفكّرين العرب، للمؤثّر الإسلامي المنبع من أثر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وجهود العلماء المسلمين العلمية والفكّرية القائمة على هذين المصادرين في صياغة العقلية الإسلامية، وقدرتها على الإبداع والنهوض،^(٢) بحيث أصبحت هذه العقلية مهيأة للنظر والإبداع في

(١) انظر: توفيق يوسف، نظرية التأثر والتأثير: نماذج من الأدب العربي والأدب الإنجليزي، المجلة الثقافية (الجامعة الأردنية)، ع ٥٤ و ٥٥ (جمادى الأولى ١٤٢٢ - محّرم ١٤٢٣ هـ/حزيران (يونيو) ٢٠٠١، آذار (مارس) ٢٠٠٢م)، ص ١٧٣ - ١٧٨.

(٢) انظر: مايكل هاملتون مورجان، تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكّريه وفتانيه/ ترجمة أميرة نبيه بدوي، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٨م، ٣٠٢ ص.

الكون،^(١) على اعتبار أنَّ هذا الأثر يقوم على حُثِّ القرآن الكريم على النظر والاعتبار والتأمل في آفاق الكون ومكتنونات النفس.

التجاهل :

جاءت هذه الغلبة في النظرة من خلال التجاهل الواضح للأثر الإسلامي في بناء الحضارة الإنسانية، ومن خلال تغيب أثر علماء المسلمين والإنجازات الحضارية الإسلامية، رغم الأخذ عنهم وعنها. وهذا اتهام له ما يثبته في التراث العلمي الغربي للتاريخ للعلوم، حينما تُتجاهل الحقبة الإسلامية التي مارست الأثر الكبير في نقل العلوم اليونانية والهنودية والفارسية إلى اللغة العربية، مباشرةً أو عن طريق اللغة السريانية أولاً، ثمَّ العربية لاحقاً. ثم جرى نقلها بعد تأصيلها إلى اللغات الأوروبية اللاتينية وغيرها. وقد انبرى عدد من علماء تاريخ العلوم العرب والمسلمين وبعض المستشرقين المتأخرين لبيان هذه المشكلة التي تجاهلت الأثر الإسلامي في محاولات لإعادة التركيز على هذا الأثر العربي الإسلامي في بناء الحضارة الإنسانية،^(٢) مما قد يدخل في مفهوم نقد الاستشراق. والشواهد على هذه المواقف كثيرة.

يقول السيد محمد الشاهد: «لا توجد حضارة بدأت من

(١) انظر: إبراهيم العاتي، إشكالية المنهج في دراسة الفلسفة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٢) انظر: مايكيل هاملتون مورجان، تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الإسلام وفقيريه وفتانيه، مرجع سابق، ٣٠٢ ص.

الصفر، بحيث يمكن أن تُعتبر البداية الأولى والأم للحضارات التي تلتها في الظهور، كما يدعى بعض مؤرّخي الفكر الإنساني، حتى اعتبرت الفلسفة اليونانية نقطة انطلاق الفكر الإنساني وأمّا لكل ما تلاها من حضارات وفلسفات، ثم اضطرّ هؤلاء المؤرّخون أو من لحقهم، إلى الاعتراف بأسبقية وفضل الحضارات المصرية القديمة على ما تلاها من حضارات، وأولاًها الحضارات اليونانية».^(١)

المؤثّرات :

تصطفي هذه الدراسة خمسة مؤثّرات رئيسة من مناحي التأثير والتأثير، وتحاول بيان مدى تأثيرها وتتأثيرها.

- المؤثّر الأول هو الحضارة وانتقالها بين الشرق والغرب، بما في ذلك الإفادة من العلوم والعلماء،
- المؤثّر الثاني البعثات التعليمية الشرقية إلى الغرب ومدى تأثيرها على الغرب في ضوء النظر إلى تأثيرها به،
- المؤثّر الثالث الوجود العُمالي الشرقي، وأثره في التنمية الغربية ومدى تأثيره في المجتمع الغربي،
- المؤثّر الرابع يتمثّل في المسلمين الغربيين ومدى توفيقهم بين

(١) انظر: السيد محمد الشاهد، صلة التأثير والتأثير بين الحضارة الإسلامية وغيرها في: المؤتمر الرابع عشر: حقيقة الإسلام في عالم متغير في الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠ - ٢٣ مايو ٢٠٠٢م، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

ثقافتهم الغربية وانتماهم للإسلام، على افتراض أنَّ هناك إس kaliَّةٌ حضاريةً بين هذين البعدين،

- المؤثِّر الخامس هو الاستشراق ومدى تأثيره وتأثيره. وقد جرى التركيز على الاستشراق الألماني على اعتبار أنه أقرب الاستشرافات إلى مفهوم التأثير والتأثير، كما سيأتي.

هناك مؤثرات أخرى لا تقلُّ أثراً وتأثيراً عن هذه المؤثرات الخمسة، تجسَّدت فيها مناحي التأثير والتأثير بشكل واضح، كاللغات التي تؤثِّر وتتأثَّر.

يقول محمد الكتَّاني : «ومن المعلوم أن اللغة العربية كانت قبل مجيء الإسلام ونزول القرآن عبارة عن لهجات لعدد من القبائل الناطقين بها، وكانت هذه اللهجات تسمَّى عندهم لغات. وكانت كل لغة من لغاتهم الدائرة في فلك العربية تتأثَّر بلغة الشعب الأجنبي الذي تناخمه، فكانت تستعمل كثيراً من الألفاظ الأجنبية على سبيل التعريب لها، مع تكييفها للصيغ العربية وأصواتها. فبقاء اللغة العربية من كل دخيل أمر لم يتحقق في أي عصر، وهو أمر يجافي طبائع اللغات وتطورها. والقول بتأثر العربية أو استعمالها للألفاظ الأجنبية التي لم يكن لها نظير عند العرب هو الذي يجري على سنة اللغات في التأثير والتأثير، وأكبر دليل على ذلك لغة القرآن نفسه». (١)

(١) محمد الكتَّاني، مواجهة اللغة العربية لأول تجربة في ترجمة العلوم، ص ٥٣ - ٧٣ - في: الترجمة العلمية، ندوة لجنة اللغة العربية لأكاديمية المملكة المغربية ٢٠-١٩ ١٤١٦هـ / ١٢-١١ ١٩٩٥م، طبعة: أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

ومنها كذلك الآداب والإعلام ووسائله، والاتصال ووسائله، والفنون، والنفوذ وفرض العولمة والتلقي، وتسويق العلمنة والبعثات الدبلوماسية والتبادلات التجارية وغيرها، تلك التي يغلب عليها الاتجاه الواحد من الغرب إلى الشرق في بداية انطلاقها، مما تجسدت فيه الرغبة في التأثير دون التأثر.^(١)

التنصير:

من تلك المؤثرات ذات الاتجاه الواحد أيضاً الحملات التنصيرية داخل المجتمعات المسلمة خاصةً.^(٢) التي انطلقت بصورة منظمة من البصرة منتصف سنة ١٣٠٨هـ، أوائل سنة

(١) يورد عبدالله أبو هيف نماذج من التأثير العربي بالأدب الغربية في الشرق الأوروبي «الغرب الأدنى» والغرب الأوروبي «الغرب الأوسط» كذلك. انظر: عبدالله أبو هيف، المثقفة والمثقفة المعمكسة في الاستشراق: تأثير الثقافة العربية الإسلامية ألموزجاً، الكلمة، ع ٥٠، مع ١٣ شتاء ٢٠٠٦ / م ٤٢٧ هـ. وانظر أيضاً: عبدالله أبو هيف، القصة العربية الحديثة والغرب: سيرة التقاليد في القصة العربية الحديثة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤. وانظر كذلك: توفيق يوسف، نظرية التأثر والتأثير: نماذج من الأدب العربي والأدب الإنجليزي، المجلة الثقافية (الجامعة الأردنية)، ع ٥٤ و ٥٥ (جمادي الأولى ١٤٢٢ - محرم ١٤٢٣هـ) حزيران (يونيو ٢٠٠١ - آذار (مارس) ٢٠٠٢). ص ١٧٣ ، ١٧٨.

(٢) انظر: كارل ألبان، المدرسة الألمانية الإنجليلية الثانوية بالقاهرة اليوم، ص ٥٢٩ - ٥٤٢، في: ألمانيا والعالم العربي: دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه/ حققه بالألمانية هانس روبرت رويمير، ونقله إلى العربية مصطفى ماهر وكمال رضوان، بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م، ٦٤٦ ص.

١٨٩١م، بعد أن خطّط لها كلُّ من الدكتور لانسنج وجيمس كاتنين وصموئيل «السموآل زويمر وفيليپ/ فيلبيس» بدءاً من منتصف سنة ١٣٠٦هـ أوائل سنة ١٨٨٩م، مرگزَةً في البدء على التطبيق وبيع الكتب.^(١)

لم تخل تلك الحملات من قدر كبير من الإزعاج والمقاومة المحلية التي لم تقبل للإسلام بديلاً، وكذا المتابعة الرسمية الحكومية التي لا تقبل مزيداً من النفوذ. ولم تخل كذلك من قدر يسير جداً قد لا يُذكر من التأثير أو التأثير المعاكس غير المرغوب فيه من الجمعيات التنصيرية وغير المقصود من قيادات التنصير والمنصّرين أنفسهم.^(٢)

ذلك لأنَّ المنصّرين قدموا إلى مناطق المسلمين وهم يحملون تصوُّرات مغلوبة عن الإسلام والمسلمين، فجاؤوا لتخلص المسلمين مما عدُوه من الهرطقات التي ظهر بها العرب وسمّوها الإسلام. وعندما يتبيّن لهم خلاف ذلك وأنَّ هذا الدين ليس بهرطقات لا يعملون على تصحيح هذه التصوُّرات المكتونة لديهم، ولكتَّهم يعملون على تفسير الواقع الإسلامي بما يتناسب مع

(١) انظر: خالد البسام، معذ ومتّرجم، ثرثرة فوق دجلة: حكايات التبشير المسيحي في العراق ١٩٠٠ - ١٩٣٥، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ص ٥ - ١٥.

(٢) انظر بعضاً من صور تأثير المنصّرين بالإسلام بما في ذلك شكوى القيادات التنصيرية من إسلام بعض المنصّرين الميدانيين في أدبيات التنصير، ومنها: علي ابن إبراهيم النملة، التنصير: المفهوم - الأهداف - المواجهة، ٢٧٠ ص.

تصوراتهم الخاطئة، ويقود هذا إلى المزيد من التصورات الخاطئة حول الإسلام والمسلمين التي تفضي بدورها إلى إجراءات خاطئة، مغلقين بهذا القابلية للتأثير أو التأثير المعاكس.^(١)

تمثل هذا التأثير من خلال وضوح رؤية بعض المنصرين حول المجتمعات المستهدفة، ونزعو بعضهم إلى اعتناق الدين الذي تدين به هذه المجتمعات المستهدفة، المجتمع الإسلامي هنا، بعدما تبيّنت لهم حقيقة المعتقد وارتكازه على الصفاء العقدي «التوحيد»، وعلى حسن التعامل والمساواة في القيمة البشرية والسامحة في الدين، ومن ثمًّ محاولة التكفير منهم عن سوء الفهم الذي قادهم إلى استهداف هذه المجتمعات، وذلك بالانخراط في حملات الدعوة الإسلامية في مجتمعاتهم وغيرها، ومحاولات التأثير فيها.

ولم يكن من غايات التنصير التأثير بالثقافات والمجتمعات المستهدفة، بل إنَّ من أهدافه داخل المجتمع النصراني هو الحدُّ من تأثير الثقافة الإسلامية في المجتمع النصراني، وهي ما سُميَّ بين المنصرين بحماية النصارى من الإسلام، وبالتالي الحدُّ من تأثير هذا المجتمع النصراني بهذه الثقافة، الهدف الذي لم يتحقق في الماضي والحاضر على الوجه الذي أراده له المنصرون.^(٢) ومن هذا الإirاد

(١) انظر: سليمان بن سالم بن ناصر الحسيني، الحملات التنصيرية إلى عُمان والعلاقات المعاصرة بين النصرانية والإسلام، لندن: دار الحكمة، ٢٠٠٦، ص. ٣١٠.

(٢) يعرض أحمد عرفات القاضي لكتاب من آخر ما كتبه المستشرق البريطاني برنارد لويس: From Babel to Dragoman يتحدث فيه عن الاستشراق والاستغراب =



لهذا التيار لا يمكن عده من مناحي التأثير والتأثير؛ لغلبة الرغبة فيه في التأثير فقط، وعدم الرغبة فيه في الوقت نفسه لدى المنصرين ومؤسساتهم في التأثير.^(١)

وتظل هناك عوامل أخرى في مناحي التأثير والتأثير غير هذه العوامل المذكورة هنا. وتحتاج إلى المزيد من التركيز، بحيث يمكن أن يأخذ كل عامل منها دراسة مستقلة بذاتها.

: م ٢٠٠١ / ٩ / ١١

من المهم في هذه الدراسة النظر إلى هذه الأبعاد دون أن يُلغي هذا التطور أو التقهقر الآني الذي حلّ بحضارة الإنسان بعد الثاني والعشرين من شهر جمادي الثانية من عام ١٤٢٢ هـ الموافق ١١ / ٩ / ٢٠٠١ م بظلاله سلباً على هذه المناحي، ذلك الحادث الذي كان - وما يزال - له أثر آني سلبي واضح على العلاقات الحضارية بين الأمم، لما خلقه من تغيير جذري في العلاقات، وأثر سلباً على مسيرة التجسيم بين الثقافات.

=

تأثيرها ورفضها التأثير. انظر: أحمد عرفات القاضي، الاستشراق والاستغراب: عرض ومناقشة مقالات برنارد لويس، صحيفة الحياة، ع ١٦٢٢٠ / ٨ / ١٩ - ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ / ٩ / ١)، ص ٢٥.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها، ط ٣، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م - ٣٥٢ ص، حيث يجعل الباحث التنصير أحد المحددات السبعة عشر التي انتقاها لتحديد العلاقة بين الشرق والغرب.

ينبغي النظر إلى اعتبار أنَّ هذا الحادث (الثلاثاء ٦/٢٢ هـ - ٢٠٠١/٩/١١ م) كان نتيجةً لأثر ما، ولم يكن أثراً لذاته ولا سبيلاً. والأجدر البحث في الأسباب لتلافي تكرار وقوع مثل ما وقع في نيويورك وواشنطن والعراق وأفغانستان و«الربيع العربي»، وما قد يحدث - لا قدر الله - فيها وفي غيرها. وليس هذا مجال مناقشة الأسباب والدافع. ^(١)

العلاقات بين الحضارات ليست أسيرة حادث آني؛ إذ إنَّ جذور هذه الثقافات راسخة متبادلة بين تأثير وتأثير، سواء بين الثقافات القائمة على وحي منزل كاليهودية والنصرانية والإسلام، ^(٢) دونما مصادرة لخصوصية كل دين، أم بينها وبين الثقافات التي اتَّكأت على هذه الديانات الثلاث، مع الأخذ في الحسبان أنَّه من نتائج هذا الحدث ظهرت مناهج متباعدة، منها ما أكَّد على الارتماء في أحضان الغرب والنيل من معطياته الحضارية من دون قيد أو شرط.

وهذا نهج في التبعية قديم تجَّدد مع اختلاف في المنهجية والتعبير. ويقابله نهج آخر مضادٌ دعا إلى القطيعة الحضارية ونبذ كل ما هو غربي، ومن ثمَّ الانسلاخ من الهيمنة والتبعية، وكأنَّ التأثر

(١) سعى الباحث إلى محاولة الفحص في أسباب العمليات الإرهابية في مشرق الأرض ومغاربها. انظر: علي بن إبراهيم النملة، فكر التصدِّي للإرهاب: مراجعات في المفهوم والأسباب والهوية والأوزار، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ١١٣.

(٢) انظر: هافانا لازاروس - يافه، الفكر الإسلامي والفكر اليهودي: بعض جوانب التأثير الثقافي المتبادل، الاجتهد، ع ٢٨ (صيف العام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ص ١٧٩ - ٢٠٩.

بالإنجازات الحضارية الغربية يفضي إلى تلك الهيمنة الغربية والتبغية الشرقية.

علوم أنَّ هذا الموقف السلبي من الحضارات الأخرى، والغربية منها بخاصةً، ينبع من إفراط في الحرص على نبذ الدخيل على الثقافة الإسلامية، خوفاً عليها من منطلق أنها ثقافة قائمة بذاتها لها خصوصيتها التي لا ينبغي أن تُخترق. (١)

الخصوصية الثقافية :

الحفاظ على الخصوصيات الثقافية داخل المجتمع العربي المسلم لا يعني العزلة والتمترُّس، ولا يتناهى مع التعايش بين الثقافات وتبادل المنافع بينها وإظهار مكوناتها الإنسانية التي قامت على تكريمبني آدم، مهما بشَّر بعض المثقفين المتعجّلين بسيطرة النظرة العولمية على هذا الكوكب، قالَ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَفَضَلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِنَا تَقْصِيْلًا﴾ (الإسراء : ٧٠).

فاذْعاء سيطرة العولمة قد يثبت المستقبل القريب عدم فاعليته، لا سيما مع التواتر بين المثقفين والمفكّرين على أنَّ الدعوة إلى

(١) انظر: من النهضة إلى الردة، ص ١١١ - ١٥٣ ، في: جورج طرابيشي، المرض بالغرب: التحليل النفسي لعصاب جماعي عربي، دمشق: دار برا، ٢٠٠٥م.- ١٨٤ ص. ويقلل جورج طرابيشي هذه الجدلية عن منير شفبيق في كتابه: الإسلام في معركة الحضارة، ط ٢ ، بيروت: دار الكلمة، ١٩٨٣م.

العولمة في كُلّ شيء لم تثبت جدواها؛ لأنها تسير في اتجاه واحد،^(١) في ضوء شيوع نظرية المركز أو المحور والأطراف، وأنّ الأطراف ينبغي أن تخدم المركز، وأنّه لم يظهر في الأطراف علماء مؤثرون، بل متأثرون، بحيث أصبح الإنسان في الأطراف غير مؤثر، حتى إذا ما «رحل» المرء إلى المركز «لا يلبث أنْ يصبح عالماً مرموقاً أو باحثاً لاماً بعد الهجرة إلى إحدى الدول الرأسمالية المركزية والانخراط في بنائها المركزي المتكامل».^(٢)

ولذا فلا بدّ من التركيز على هذه الخصوصية الثقافية الدافعة لا الحاصرة، وأخذها في الحسبان عند سنّ النظم والقوانين الغربية التي تحكم العلاقات الإنسانية والاجتماعية،^(٣) وذلك من منطلق أنّ «كرامة الإنسان وحقوقه أمرٌ لازمٌ ثابتٌ له قد ينطلق من معتقد ديني أو نصّ قانوني أو موقف إنساني، لكن حقوق الإنسان تبقى في النهاية أمراً لا بدّ من سعي الأفراد والدول والمنظمات الدولية

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة، الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٥٠.

(٢) انظر: أيوب أبو دية، لماذا انحسرت التأثيرات العلمية المتبادلة بين العرب والغرب، ص ٢٧١ - ٢٨٢ ، في: عبدالواحد لؤلؤة، وآخرين، محّرّرين، العرب والغرب: أوراق المؤتمر العلمي السنوي السابع لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا.- عمّان: الجامعة، ٢٠٠٣م، ص ٥٩٩.

(٣) انظر: فوزية العشماوي، الحوار بين الحضارات وقضايا العصر: العولمة وأثارها على الخصوصيات الثقافية، الاجتهاد، ع ٥٢ و٥٣ (خريف وشتاء العام ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ هـ/١٤٢٢ م)، ص ٩٧ - ١١٢.

والجمعيات والمؤسسات المدنية للدفاع عن هذه الحقوق والمحافظة عليها». ^(١)

لا تعني الخصوصية الثقافية القطعية الحضارية مع الثقافات الأخرى، فهذه خصوصية حاصرة لا دافعة، كما لا يعني الانفتاح المطلوب على الحضارات مجرد المحاكاة المتطلبة نكران التراث النافع في مقابل الأخذ بأسباب المعاصرة والحداثة. هذا الموقف يعبر عن صراع مصطنع بين الأصالة والمعاصرة، لا ينبغي الاستسلام له من منطلق تناقض المفهومين وادعاء تعدد اجتماعهما في مسيرة حضارية واحدة، في ضوء الخصوصية الدافعة، لا الحاصرة. ^(٢) فلا انغلاق على التراث ولا انفتاح على الحداثة يفضي إلى الانسلال من الأصالة. إنها نظرة توازنية فيها قوّة في عامل الثقة، وفيها اعتراف بالحاجة إلى الإقلاع. ^(٣)

ولَا يتنهى هذا المدخل من دون التنويه إلى أنَّ الباحث - في

(١) انظر: سعيد حارب المهيري، حقوق الإنسان في العلاقات الدولية الإسلامية، الاجتهد، ع ٥٢ و ٥٣ (خريف وشتاء العام ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ / ١٤٢٢ هـ)، ص ١٣٣ - ١٨٥.

(٢) يناقش الباحث مفهوم الخصوصية الدافعة في مقابل الخصوصية الحاصرة. انظر: علي بن إبراهيم النملة، السعوديون والخصوصية الدافعة: وفقات مع مظاهر التميُّز في زمن العولمة، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ٣١٢ ص.

(٣) انظر: من النهضة إلى الردة، ص ١١١ - ١٥٣، في: جورج طرابيشي، المرض بالغرب: التحليل النفسي لعصاب جماعي عربي، مرجع سابق، ١٨٤ ص.

الطبعة الثانية من الكتاب - قد فضل مصطلح النصارى والنصرانية على مصطلح المسيحي والمسيحية؛ لما ظهر للباحث أنَّ المصطلح الأول هو أصلق بالملأ النصرانية، لا من منطلق تهويبي ولكن من منطلق تأصيلي، فالقرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ والتراجم العربية الإسلامية سماهاهم النصارى، ولا يظهر للباحث أنَّ في هذا التعبير المؤصل إساءة لمتبعي الملَّة النصرانية التي جاء بها المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - .

كما فضل الباحث التعبير بمصطلح الاحتلال بدليلاً من مصطلح الاستعمار، فجرى تبديل المصطلح خلافاً للطبعة الأولى؛ إذ لم يثبت أنَّ الاحتلال العالم الثالث قد سعى إلى إعمار البلاد التي احتلَّها لمئات السنين - أحياناً - بل إنَّ الاحتلال - في بعض مناحيه - قد سعى إلى الفكر والثقافة للمحتلين صياغة غربية؛ بدعوى إعمار الأذهان والأفكار قبل إعمار الأرض، وما تزال آثاره - في السعي إلى التأثير لا التأثر - قائمة إلى اليوم. فالفعل هذا هو إلى الاحتلال أقرب.

المؤثر الأول

العلاقات الحضارية

مما يتردّد كثيراً في أدبيات الاتصال المكثف بين الشرق والغرب انطلاقته من بين الحروب كـ«حروب الفرنجة» أو ما تعارف عليه الغربيون بالحملات الصليبية، وحركات الهيمنة الغربية على الشرق، من خلال الاحتلال الذي دام قروناً، تخلّله حركات جهاد ومقاومة عربية وإسلامية ضدّ الوجود الأوروبي الغربي في البلاد العربية والإسلامية المحتلة.

ومع هذه الهيمنة في القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الهجرية، الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين الميلادية لم تخلُ هذه العلاقة الحضارية من تأثير المهيمنين بالمهيمن عليهم، أي تأثير المحتل بالمحتل، أو من وجه آخر تأثير المحتل بالمحتل، فقد تأثر المحتلون الغربيون إيجاباً بالثقافة الإسلامية،^(١) على خلاف نظرية عبد الرحمن ابن خلدون المشهورة من تأثير المغلوب بالغالب، وتأثير الغالب على المغلوب.

(١) انظر: زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياسته/ ترجمة شريف يونس، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧م، ص ٧٢ - ٧٥.

ومع هذا النمط من الهيمنة لم يتحدد موقف غربي واحد وموحّد بالكامل تجاه الإسلام والمسلمين والشرق والاحتلال والهيمنة،^(١) ما يؤكّد دائمًا أنَّ الغرب ليس غربًا واحدًا، بل هو غرب وثاني وثالث. فهناك الغرب الأدنى بالنسبة للشرق «أوروبا الشرقية»، والغرب الأوسط «أوروبا الغربية»، والغرب الأقصى «أمريكا» الشمالية والوسطى والجنوبية. وداخل الغرب الواحد تفريعات.

يلي ذلك في الزمان محاولات الهيمنة في مرحلة ما سُمي بالقطب الواحد، لا سيما بعد انتهاء الحرب الباردة بعد أ Fowler الاتحاد السوفياتي مع مطلع العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري العقد العاشر من القرن الميلادي العشرين المنصرم وسيطرة المحافظين الجدد على هذا القطب المتفرد بالهيمنة،^(٢) رغمًا عن محاولات التنصل منها من قبل دول الغرب المتوسط، مثل فرنسا وألمانيا.

الذى ينحو هذا المنحى يرنو بطرف خفي إلى الاتصال الحربي السياسي الاحتلالي فقط بين الشرق والغرب، إلا أنه يمكن أنْ تعود فكرة الاتصال الحضاري والمدني والثقافي^(٣) مع الغرب إلى ما قبل

(١) انظر: زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، المرجع السابق، ٤٢٦ ص.

(٢) انظر: عبدالجبار ناجي، الاستشراق في التاريخ: الإشكاليات - الدوافع - التوجهات - الاهتمامات، بيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث، ٢٠١٣م، ٥٨١ ص.

(٣) في تحرير الإشكال في المصطلح «الحضارة» انظر المناقشة المستفيضة: الحضارة بين إشكاليات الترجمة وتعدد المفاهيم، ص ٩ - ٢٨، في: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية.- دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ١٧٦ ص.

ذلك بكثير،^(١) إذ إنَّ العرب كانوا على اتصال بالبيزنطيين واليونان والفرس والهند قبل الإسلام، واتَّخذ الروم الغساسنة من العرب حليماً لهم؛ لوقايتهم من بقية العرب في جزيرة العرب، كما اتَّخذ الفرس من المناذرة العرب حليماً لهم؛ لوقايتهم من العرب في الجنوب الغربي كذلك.

وبغضِّ النظر عن الغرض من هذا الاحتكاك الثقافي الذي قيل عنه إنَّما قام للدفاع عن الإسلام بالتعرف أولاً على الثقافات الأخرى المعاصرة،^(٢) فإنه كانت هناك في القرون الأولى للإسلام صلات ثقافية مزدهرة بائنة الازدهار في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

كانت لدى العرب في جزيرة العرب رحلة الصيف التجارية «الإيلاف» إلى ديار الشام التي كان يحكمها البيزنطيون، وصاحب هذه الرحلات احتكاكات ثقافية وحضارية. ولا يقتصر الأمر في العلاقة على العرب، بل إنَّ أمم الشرق كالفرس والهند والصينيين

(١) في التفريق بين الحضارة والمدنية ينظر إلى الحضارة على أنها مجموعة المفاهيم والمُمْلُّ «والقيمة» النابعة من وجهة النظر إلى الحياة. ووجهة النظر هذه تكون نابعة من أحکام أو تعلیمات إلهية أو وضعية. أمَّا المدنية فينظر إليها على أنها مجموعة الأشكال المادية والفنية التي تُعدُّ في الأصل للاستعمال، أو لجعلها مظاهر معبرةً عما توصل إليه الإنسان في مجالات التقدُّم والاكتشاف العلمي والفكري. انظر: سميح عاطف الزين، عالمية الإسلام ومادية العولمة، بيروت، العالمية للكتاب، ٢٠٠٣ هـ / ٢٠٠٣ م، ص ٢٠٣.

(٢) انظر: السيد محمد الشاهد، رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم، مرجع سابق، ص ٤٥.



كانوا على علاقة بالغرب الأدنى «الإغريق» الذي لم يكن يرى نفسه أنه غرب محض، كما أنه لم يكن يرى نفسه أنه شرق كذلك، وإن صنفه الغربيون على أنه الشرق الأدنى.^(١) فلم «يكن الانقسام بين الشرق والغرب حاداً حقيقةً، مثلما بدا لاحقاً لكثير من المفكرين والباحثين الأوروبيين».^(٢)

اتّصل المسلمون باليونانيين مع انطلاق الإسلام من خلال الوفود التي بعثها رسول الله ﷺ إلى الأمم المجاورة يدعوها إلى الإسلام.^(٣) ثم قامت مناورات بين المسلمين والروم في آخر أيام رسول الله ﷺ وخلال الخلافة الراشدة، مما هو معلوم في مصادر التاريخ الإسلامي.

هذا الأسلوب في الاتصال ألقى بظلاله على هذه العلاقات الحضارية إلى اليوم، بحيث لا تكاد تقف على منتج فكري، غريباً كان أم شرقياً، إلا ويعطي هذه المدة الطويلة اهتماماً في تأثير الشرق على الغرب، ثم تأثير الغرب على الشرق، بما في ذلك إسهامات جورج فيلهلم فريدريش هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣٠م) وأوزوالد شبنجلر (١٨٨٠ - ١٩٣٦م) وأرنولد توينبي (١٨٨٩ - ١٩٧٥م) واليكسيس

(١) انظر: سيار الجميل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط: مفاهيم عصر قادم، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٧م - ص ٧٣ - ٧٥.

(٢) انظر: زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٣) انظر: خالد سيد، رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والقبائل، الكويت: مكتبة دار التراث، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ١٢٨ ص.



كارلайл؛ إذ لم تقتصر العلاقة بين الشرق والغرب على الحروب والمناوشات، بل صحب ذلك تبادل ثقافي وحضاري ومدني، بُرِزَ فيه عامل التأثير والتأثير بوضوح.

واستمرت التبادلات الحضارية بين المسلمين وغير المسلمين، من الشرق الهندي والفارسي والغرب البيزنطي، اللذين كانت قد بدأت العلاقة بينهما قبل ٤٩٠ قبل الميلاد حين هزم الإغريق الفرس في معركة الماراثون.^(١)

انطلق المسلمون يتّمسون الحكمـة - في غير الإلهيات - في هذه الحواضر العالمية شرقاً وغرباً، وينشرون الحكمـة الإلهية المتزلة في كتاب كريم، وتمكّنوا - من منطلق الأخذ والعطاء - من الحوار مع هذه الحضارات، من خلال النقل والترجمة عن طريق اللغة السريانية أو مباشرة من الفارسية أو الهندية أو الإغريقية، كما هو معلوم في هذا المجال من الاتصالات الحضارية.^(٢)

بقدر ما يكون هناك توظيف إيجابي وفاعل لهذا الأسلوب في العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب، وبقدر ما يسعى بعض المعنيين بالتعايـش الحضاري بين الشرق والغرب، تظهر على الساحة الفكرية الشرقية والغربية بعض الإسهامات الفكرية المتطرفة التي تنـکـأ الجراح، لـتـؤـکـد استمرار منهج الحروب الصليبية في وقتنا

(١) انظر: زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٢) انظر: محمد عبد الحميد الحمد، حوار الأمم: تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان، دمشق: دار المدى، ٢٠٠١م، ٥٣١ ص.

الحاضر، وأنَّ ما يصرُّح به بعض القادة السياسيين والدينيين الغربيين، من استحضار لهذا المنهج لا ينبع عن زلة لسان فحسب.^(١) ومن ذلك ما صرَّح به وزير الإعلام الصريبي أثناء الفتنة على البوستة والهرسك في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، العقد العاشر من القرن العشرين المنصرم بقوله: «نحن طلائع الحروب الصليبية الجديدة»،^(٢) ومنه ما صرَّح به الرئيس الأميركي يوم الثلاثاء ١٤٢٢/٦/٢٢ الموافق ١١/٩/٢٠٠١ م،

(١) لعلَّ من آخر ما صدر حول الحروب الصليبية من وجهة نظر غربية كتاب *Blackwater: The Rise of the World's Most Powerful Mercenary Army* لجيروم سكيل Jeremy Scahill، نشرته في نيويورك: Nation Books سنة ٢٠٠٧ م، في ٤٦٤ صفحة، حيث يستحضر مفهوم فرسان مالطة، بوجود شركات «أمنية» من المرتزقة تمارس مفهوم الحروب الصليبية في العراق، وتثير النعرات الطائفية بين المسلمين بهدم بيوت العبادة، واغتصاب المواطنين والقتل الجماعي، وينفق عليها من عائدات النفط العراقي التي وصلت إلى مئة مليار (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار. وقد أدى هذا النمط في التعامل إلى الدعوة إلى إعادة النظر في الاستعاناً بهذه القوَّة في العراق. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان: بلاك ووترز: أخطر منظمة سرية في العالم، ونشرته في بيروت في طبعته الثانية: شركة المطبوعات، سنة ٢٠٠٨، في ٥٢١ ص. وانظر في المرتزقة: باسل يوسف النيرب، المرتزقة: جيوش الظل، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م - ١٥٨ ص. وانظر كذلك: مجدي كامل، بلاك ووترز: جيوش الظلام، المرتزقة العجدد وفن خصخصة الحرب، بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨ م، ٣٦٨ ص.

(٢) انظر: مهدي رزق الله أَحمد، الحملات التنصيرية في العالم الإسلامي: أهدافها وبرامجها (خاصة العالم العربي: السودان ومصر والعراق والجزائر، نماذج)، ص ٣١٧ - ٣٨٨، في: مجلة البيان ومبَرَّة الأعمال الخيرية بالكويت، مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام، الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م، ٨٠٩ ص.

وما صرّح به رئيس الوزراء الإيطالي بعد ذلك ، وما يصرّح به بعض القيادات الدينية النصرانية الغربية. ومع هذا فإن «جهود المثقفة المعكوسة قد انتعشت كثيراً خلال نصف القرن الأخير، بما يفيد كثيراً في حوار الحضارات لدى الإقرار بالتفاعل الثقافي بين الأجناس والشعوب والأمم جميعاً». ^(١)

تأخذ تلك الإسهامات طابع التعميم على الغرب، بما في ذلك الغرب الأدنى، وألمانيا من الغرب الأوسط التي لم يتضح منها أنها مارست أثراً واضحاً في الحروب الصليبية أو في حقبة الاستعمار، مقارنةً بما مارسته بقية أقاليم الغرب الأوسط «أوروبا الغربية»، من دون أن يتجاهل معه انطلاق بعض الحملات الصليبية من الأراضي البلقانية والألمانية.

أدّى هذا إلى أن تكون العلاقة الشرقية بالألمان ذات طابع يتميّز عن بقية دول أوروبا الغربية أو دول الغرب الأوسط. فهي علاقات حضارية تبادلية تقوم في انتلاقها على التعاون والتحالف الحضاري أكثر من كونها علاقة توجّس بين غالب ومحلوب، كما هو الإحساس الذي فرضته بقية دول أوروبا الغربية أو دول الغرب الأوسط. ^(٢)

(١) انظر: عبدالله أبو هيف، المثقفة والمثقفة المعكوسة في الاستشراق: تأثير الثقافة العربية الإسلامية أنموذجاً، الكلمة، مرجع سابق.

(٢) دعا رئيس وزراء إسبانيا خوسيه ثاباتيرو في ١٩/١/٢٠٠٤ هـ - ١١/٣/٢٠٠٤ م إلى التحالف الحضاري من خلال قيام منتدى التحالف، وأيده عليه رجب طيب أردوغان رئيس الوزراء التركي، وتبنّت الأمم المتحدة هذه الدعوة. وعقد =

كانت العلاقات بين الألمان والعرب والمسلمين تكاملاً؛ لأنَّها نظرت إلى أنَّ الأصل في بناء الحضارات هو المشاركة في جهود البناء وعمارة الأرض بالفكرة والعلم والجسم. ويؤكِّد تاريخ الحضارات أنَّ مسألة الاستعانتة بإمكانات الأمم المعاصرة كان ديدناً في بناء الحضارات، بحيث يتعدَّر حصر بناء الحضارات على أمَّة أو شعب أو عرق دونهما مساعدة، بأيِّ شكلٍ من أشكال المساعدة في القوى البشرية أو في الخامات الطبيعية أو في الثروات الحيوانية، من ثروات وأمم وشعوب وأعراق أخرى معاصرة لها أو سابقة عليها. (١)

ُستحضر هنا عبارة السيد محمد الشاهد: «إنَّ التأثير دليل حيوية المتأثر واستعداده، والتأثير دليل قوة المؤثر وقبوله. فكلَّ فكرٍ حيٍّ يتأثَّر بما سبقه وبما يعاصره ويمكِّنه أنْ يؤثِّر في ما يعاصره كذلك أو يلتحقه، إذا توفرت في هذا الحيٍ عناصر القوَّة ووُجُد في المتأثر شروط التأثير مثل الانفتاح والتمكُّن من لغة المؤثر وثقافته وفكره». (٢)

اللقاء الثاني للمتدى في ٧ - ٨ محرَّم ١٤٢٩ هـ / ١٥ - ١٦ يناير ٢٠٠٨ م. انظر في فكرة التحالف الحضاري: سعيد اللاؤندي، أمريكا - أوروبا: سايكوس بيكتو جديده في الشرق الأوسط، ملامح أولية لوفاق دولي جديد، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦ م. - ص ١٥٩ - ١٦٧.

(١) انظر: عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤ م، ٢٥٦ ص.

(٢) انظر: السيد محمد الشاهد، صلة التأثير والتأثر بين الحضارة الإسلامية وغيرها في: المؤتمر الرابع عشر: حقيقة الإسلام في عالم متغير في الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠ - ٢٣ مايو ٢٠٠٢ م، مرجع سابق، ويدرك أنَّ التأثير دليل حيوية المتأثر، والتأثير دليل قوة المؤثر، والمتوقَّع من العبارة هي ما أثبتت أعلاه.

هذا بالإضافة إلى القوّة الذاتية الكامنة في المُثل والمبادئ والنظرية المنصفة للحضارات الأخرى المستدعاة للتأثير، القابلة للتأثير، من دون اللجوء إلى الكيل بمكيالين في تصدير هذه المُثل والمبادئ، بحيث يراد لها أنْ تقتصر على اتجاه واحد يؤثّر ولا يتأثّر ويعطي ولا يأخذ، بل ربما قيل يملي ولا يستلمي، كما هو مسار العولمة اليوم، ومن دون التنازل عن الثوابت التي هي العامل الحاسم في رحلة التأثير، كما هي العامل الحاسم في الدعوة إلى التأثير.^(١)

الحضارة الإسلامية في قرونها الأولى لم تغفل هذا البعد، فاستأنست بمفهوم التعارف بين الشعوب، بحكم أنَّ التعارف بين الأمم هدفٌ من أهداف هذا الوجود، واستعانت بالحضارات المجاورة المعاصرة والسابقة، لا سيما في علوم الدنيا، وكانت الاستعانة مباشرةً أو عن طريق السريان – كما مر ذكره – الذين كونوا من أنفسهم ومن مدارسهم ومكتباتهم جسرًا عبرت منه ثقافة الروم والفرس إلى المسلمين.^(٢)

وربما تخطّط العلاقة الاستعانية والتعارف إلى النظر في التعاون والتحالف الحضاري لمواجهة التغييرات الفكرية التي تهدّد الأمن

(١) انظر: عبدالله علي العليان، الإسلام والغرب وضرورات الحوار العقلاني المتوازن، صحيفة الحياة، ع ١٦٤٧٩ (السبت ١٢ / ٥ / ٢٠١٧ هـ - ٢٠٠٨ م)، ص ٣٣.

(٢) انظر: برسوم يوسف أبوب، أول جسر عبرت منه ثقافة الروم والفرس إلى العرب، المجلة العربية، مج ٤، ع ١ (١٤٠٠ / ٥)، ص ٨٨ - ٩٢.

والتنمية.^(١) ولا يذكر تاريخ العلوم عند المسلمين أنَّ مسألة الاستعana بالعلوم والحضارات الأخرى كانت مجالاً للجدل القائم على الرفض المطلق للحضارات السابقة والمعاصرة. وليس هذا مجال الاستشهاد وتعداد صنوف هذه الاستعana، مما هو مثبت في مصادر تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين.^(٢)

إلا أنَّ تأثُّر المسلمين بالحضارات المجاورة كان مرتكزاً على الإفادة من العلوم الطبيعية والتطبيقية والبحثة (علوم الدنيا) وبعض من الأداب التي تمت ترجمتها إلى اللغة العربية، وُسُبِّت إلى الأداب العربية (ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة والسند هند نامه نماذج)،^(٣) من دون التأثر بالضرورة في مجالات العلوم الإسلامية العقدية والشرعية (علوم الدين أو الإلهيات)، رغم محاولات بعض المستشرقين تتبع العقيدة والشريعة وممايلتها بال تعاليم اليهودية والنصرانية؛ إذ إنَّ المماثلة الحاصلة إذا أخذت بحسن نية آتية من كون هذا التشريع يكاد يكون هو إياها في جميع الرسائل السماوية، من منطلق المقوله المشهورة: شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما ورد فيه نسخ، ومن منطلق

(١) انظر: تحالف الحضارات أم تحاربها؟، ص ٣٤١ - ٣٥٠، في: جورج قرم، المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧م، ٤٠٧ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط ٣، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ٢٠٤ ص.

(٣) انظر: البحث في تأثُّر وتأثُّر الأدب العربي، ص ٥٧٥ - ٥٩٧، في: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ٧٨٠ ص.

أصولي كذلك يقوم على قاعدة أنَّ مقاصد الأحكام مصالح الأنام، ومصالح الأنام في عمومياتها متطابقة، فالشارع واحد والمشروع له بطبيعته البشرية واحد والمشروع المراد تمثِّله واحد، والمنفعة من هذه الأحكام وال تعاليم والتشريعات في أوامرها ونواهيها واحدة،^(١) وعلى اعتبار أنه «لم يوجد قط في تاريخ الفكر الإنساني خطاب فكري خالص، بل كان الخطاب الفكري مرتبًا بعقائد غبية كان مصدرها مجھولاً في بعض الأحيان ومعلوماً في أحيان أخرى. وسوف يظلُّ الارتباط بين شقَّي الخطاب الفكري والفلسفي قائماً إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها»، كما يقول السيد محمد الشاهد.^(٢)

إذا كثُرت الأقوال والنظريات التي تُرجع الإسلام إلى اقتباسات من أديان ونحل سابقة، وإذا روج لهذا رهطٌ من المستشرقين بقصد السعي إلى إضعاف مصدرية هذا الدين، وأنه متأثر - بجملته - بالأديان والملل والنحل السابقة عليه والمعاصرة له،^(٣) فإنَّ بعض الباحثين الذين نُعدُّهم من المنصفين قد توصلوا إلى أنَّ هذه الديانات

(١) تحاول الباحثة هافانا لازاروس - يافه أستاذة الدراسات اليهودية الوسيطة في الجامعة العبرية في القدس إيجاد وجوه التأثير بين التعاليم اليهودية والتشريع الإسلامي. انظر: هافانا لازاروس - يافه، الفكر الإسلامي والفكر اليهودي: بعض جوانب التأثير التقافي المتبادل، الاجتهد، مرجع سابق، ص ١٧٩ - ٢٠٩.

(٢) انظر: السيد محمد الشاهد، صلة التأثير والتآثر بين الحضارة الإسلامية وغيرها في: المؤتمر الرابع عشر: حقيقة الإسلام في عالم متغير في الفترة من ٨ - ١١ ربى الأول ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٢٣ مايو ٢٠٠٢م. - مرجع سابق.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة، موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ٨٨ ص.

والملل والنحل قد تأثرت بالإسلام بعد ظهوره، فهذه الكتفوشية تأخذ من الإسلام بوضوح، وهؤلاء القراؤن من اليهود يأخذون من الإسلام، وإن كانت اليهودية قد سبقت الإسلام والنصرانية، فقد تأثر مؤسس القرائية عدنان بن داود بالمذهب الحنفي، حينما التقى بالإمام أبي حنيفة النعمان في السجن، قبل أن يؤسس عدنان بن داود مذهبة وحركته فكان في حركته صدئ لهذا المذهب.^(١)

على أن اللقاء الذي تم بين الإمام أبي حنيفة النعمان ومؤسس القرائية عدنان بن داود قد يستغل عكسياً، على الطريقة المعتادة في التقليل من تأثير الإسلام على الثقافات الأخرى، والتكثير من تأثر الإسلام بالثقافات الأخرى.^(٢)

الحضارة المعاصرة المتمثلة بالثورة الصناعية التي انتقلت إلى الغرب لم تنشأ دون التأثر والاستعانا، «الذين غالوا في دراسة المؤثرات الأجنبية في الفلسفة والثقافة الإسلاميتين، ونسوا أو تناسوا دراسة الظاهرة الفلسفية الإسلامية كموضوع بحث مستقل، يجب أن يدرس في إطار بيته وضمن الشروط الموضوعية التي نشأ وترعرع فيها». ^(٣) ومن شروطه الموضوعية الاستغناء عن البحث في الإلهيات، والتركيز على العلوم الطبيعية.

(١) انظر: محمد جلاء إدريس، التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م، ١٤٤ ص.

(٢) انظر: مايكيل هاملتون مورجان، تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفتانيه، مرجع سابق، ٣٠٢ ص.

(٣) انظر: إبراهيم العاتي، إشكالية المنهج في دراسة الفلسفة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦.

الفكر الإسلامي :

قام الفكر الإسلامي الذي يدعوه البعض بـ«الفلسفة الإسلامية» بتهذيب التراث السابق، وتحقيق نتائجه القديمة وصححها، وأضاف إليها الحقائق العلمية الحديثة.^(١) وذلك على رأي السيد محمد الشاهد أيضًا من منطلق «أن جدلية التأثر والتأثير بين الحضارات لا تسير في خط مستقيم، بل تأخذ الشكل الدائري»، حيث يصبح الكل متأثراً ثم مؤثراً، فيما يشبه تصور أسطوطاليس للحركة التي تسير في شكل دائري، تبدأ بالمحرك الأول وتنتهي إليه مدفوعة بما أسماه العشق، أي عشق الحركات لمحركها الأول. وهي في سعيها إلى معشوقها تتحرك بسابقتها وتحرك لاحتقها. فالحضارات تبعًا لهذا التصور ذات طبيعة تكاملية، لا تصادمية، تربط كل منها بغيرها مرأة متأثرة، وأخرى مؤثرة^(٢).

ليست أوروباً شرقّها وغربيّها هي محور الحضارة البشرية، ولن تكون الثقافة اليونانية أصلًا من أصول الثقافة العربية الإسلامية، كما يزعم بعض مؤرخي العلوم والحضارات، فالثقافة العربية الإسلامية قرأت الثقافات الأخرى الغربية والشرقية «في ضوء قناعتها وتصوراتها المستمدّة من النصّين المؤسّسين ل الهويّتها: القرآن

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٥٧٧.

(٢) انظر: السيد محمد الشاهد، صلة التأثير والتأثر بين الحضارة الإسلامية وغيرها في: المؤتمر الرابع عشر: حقيقة الإسلام في عالم متغير في الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠ - ٢٣ مايو ٢٠٠٢ م، مرجع سابق.

والسنة، قراءة نابعة من مقومات الذات من مركز قوّة، من دون عجز أو انهيار أو استلاب». ^(١)

في هذا دحضُ لبعض المسلمين المزيفَة والمحيرَة عند تناول قضية التأثير والتأثير. يقول السيد محمد الشاهد: «إنَّ التاريخ الفكري والعقدي للبشرية خضع ولا يزال يخضع وسوف يظل خاضعاً لتأثير التأويلات المتعسفة من بعض مؤرخي الفكر والحضارات الإنسانية، ولا أستثنى من ذلك آيَة دائرة حضارية». ^(٢)

مارست أوروباً نفسها في شرقها، أو ما يمكن أن يطلق عليه الغرب الأدنى، دور الصلة أو الجسر بين الشرق والغرب. تمثَّل ذلك من خلال مسلمي البلقان والبوسنة والهرسك وكوسوفا على وجه الخصوص، التي مارست جسراً مزدوجاً من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق. ^(٣)

لا عبرة بتجاهُل بعض مؤرخي العلوم الغربيين لهذا العامل المهم في التأثير والتأثير، ومن ثم تجاهُل بعض مناهج التعليم العام في المدارس الأوروبية، وبعض الإسهامات الاستشرافية في تاريخ

(١) انظر: عباس أرجحية، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربين إلى حدود القرن الثامن الهجري، الرباط: جامعة محمد الخامس، ١٩٩١م، ٧٠٠ ص. (رسالة علمية عرض لها محمد همام).

(٢) انظر: السيد محمد الشاهد، صلة التأثير والتأثير بين الحضارة الإسلامية وغيرها في: المؤتمر الرابع عشر: حقيقة الإسلام في عالم متغير في الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٢٣ - ٢٣ مايو ٢٠٠٢م، مرجع سابق.

(٣) انظر: محمد الأنماوط، إسلام البوسنة: جسر أوروباً إلى العالم الإسلامي، التسامح، ع ١٢ (خريف ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ص ٢٧٣ - ٢٨٢.

العلوم والأداب، التي تعمّدت تجاوز الحضارة الإسلامية في التأثير، وسعت إلى حصر الحضارة في أوروباً من اليونان إلى أقصى الغرب.^(١) تؤكد دراسة تراث الإنسانية الباقية أنَّ التفاعل بين الشعوب والثقافات والحضارات لم تخفت أثاره، وأنَّ الإسلام وثقافته العربية أثراً أياماً تأثير في العمران البشري، فتبين مفكرون ومبدعون منصفون إسهام العرب والإسلام الحي في حضارة الإنسان، من ول ديورانت في سفره الضخم «قصة الحضارة» إلى زигيريد هونكه في كتابها الشهير «شمس الله تسطع على الغرب».^(٢)

ينقل جون إم. هوبسون عن إريك وولف قوله: «لقد علّمونا داخل الفصول الدراسية وخارجها أنه يوجد كيان يسمى الغرب، وأننا يمكن أن نفكّر في هذا الغرب بصفته مجتمعاً وحضارة مستقلةً عن مجتمعات وحضارات أخرى [مثل الشرق] ومعارضٍ لها».^(٣)

لا يُعدم وجود لمسات إسلامية ووجود مسلمين وموارد طبيعية خام جاءت من الشرق، وأسهمت في بناء هذه الحضارة الصناعية،

(١) انظر: محمد السمّاك، عندما احتلَّ المسلمون جبال الألب، التسامح، ع ١٣ (شتاء ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦)، ص ٢٥٤ - ٢٨٠. ففي هذا العرض ما يثبت تأثير المسلمين في وسط أوروباً. وإنّكأت الدراسة هذه على كتاب مانفرد وينر: الوجود العربي - الإسلامي في وسط أوروبا في العصر الوسيط.

(٢) انظر: عبدالله أبو هيف، المثقافة والمثقفة المعكوسة في الاستشراق: تأثير الثقافة العربية الإسلامية أنموذجاً، الكلمة، مرجع سابق، ص

(٣) انظر: جون إم هوبسون، الجلور الشرقي للحضارة الغربية/ ترجمة منال قايل، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٢.

من الخبرات إلى الحرفيين والمواد الخام، بحيث كون المسلمين من أصول ولغات مختلفة وجوداً ظاهراً في الحياة الغربية، «فلم يمهد الغرب لنهضته بشكل مستقل عن المساهمة الشرقية، حيث لم يكن ممكناً أن يتحقق نهضته دون مشاركة الشرق».^(١) يجسد الشاعر الألماني الشهير لفجانج جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢م) هذا الشعور بقوله: «إنَّ الشرق والغرب لله وليس لهما أنْ يفترقا بعد الآن».^(٢) خلافاً لما يُنقل عن الشاعر الإنجليزي روديارد كيلنج المولود في الهند ١٨٦٥ - ١٩٣٦م من أنَّ: «الشرق شرق والغرب غرب ولن يتقيا. بل إنَّ جوته يذهب إلى أكثر من ذلك في موقفه المنصف من الإسلام وحضارته حينما يتغنى بالإسلام بقوله:

إنْ يكُنْ الإسلام معناه القنوت

فعلى الإسلام نحيا ونموت.^(٣)

(١) انظر: جون إم هويسون، الجذور الشرقية للحضارة الغربية، المرجع السابق، ص ١٣.

(٢) انظر: حسن الأمراني، أيها الغرب أين مشرقك؟، ص ١١٦، في: مصطفى سلوي، الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي، وجدة: جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م، ١٦٦ ص.

(٣) صاغت هذا البيت آنا ماري شمل في مقدمة كتاب: مراد هوفمان، الإسلام كبديل، الكويت: مجلة النوز، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ١٨. وانظر العبارة بصيغة أخرى: «إننا أجمعين، نحيا ونموت مسلمين». في الفصل الثاني: جوته والإسلام: العلاقة بالإسلام الأسس العقلية والتاريخية، ص ١٧٧ - ٣٢٣، في: كاتارينا مومن، جوته والعالم العربي/ ترجمة عدنان عباس علي، مراجعة عبد الغفار مكارى، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٣٨٦ ص، (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٩٤).

يختتم هذا المنحى في التوكيد على أنَّ المصطلح المتدالُول في تاريخ العلوم يأخذ التعبير عنه بالأَدَابِ، بالمفهوم الشامل للأَدَابِ المعتبر لدى المؤرِّخين المستشرقين والغربيين ومن حذا حذوهم من مؤرِّخِي العلوم من العرب. والمقصود به عدم الاقتصار على ما هو معهود من الأَدَابِ لدى المؤرِّخين المسلمين الأوائل.

على أنَّ المؤرِّخين المسلمين الأوائل استخدمو الأَدَابِ والأَدَابِ مصطلحين مرادفين للثقافة والثقافات. كما استخدمو الأَدَابِ والتَّأْدِيب بمعنى التربية من منطلق ما يُنَقَّل عن المصطفى محمد بن عبد الله عليه السلام : «أَدَبِنِي رَبِّي فَأَحْسَنْ تَأْدِيبِي». ^(١)

ومنه الأَدَبُ والمَأدَبَةُ، كما في قول الشاعر العربي طرفة بن العبد :

نَحْنُ فِي الْمَسْتَأْنَةِ نَدْعُو الْجَفَلَى
لَا تَرَى الْأَدَبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

وإذا كان قد قيل إنَّ بعض المؤرِّخين والمستشرقين الغربيين قد تجاوزوا المرحلة الإسلامية في التأثير الثقافي فإنَّ من المستشرقين من أَرَّخ للتراث العربي فتجاوز تجاهلاً منه، تأثير صدر الإسلام وعهدبني أُمية بما يصل إلى مئتي سنة. فهذا هامilton ألكسندر جيب (١٨٩٥ - ١٩٧١م) يؤرِّخ للأَدَابِ العربي فيقفز من العصر الجاهلي

(١) قال ابن تيمية: لا يُعرف له إسناد ثابت. أحاديث القصاص (٧٨). وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٠٢٠). والفتني في تذكرة الموضوعات .(٨٧)



إلى العصر العبّاسي. يقول الصيد أبو ديب: «غير أنَّ هذا التقسيم لم يخلُ في نظري من غمزات استشرافيَّة! إذ غضَّ الطرف عن عصر ابتداء ظهور الإسلام والدولة الأموية، وتجاوزه مباشرةً إلى عصر الدولة العباسية الذي نظر إليه من خلال فترتين تاريخيتين؛ الأولى عمرها خمسة وثلاثون عاماً في حين أنَّ الثانية امتدَّت قرابة مائة سنة».^(١)

تبع بعض مؤرِّخي التراث العربي الإسلامي من العرب أنفسهم هذا المنهج الاستشرافي في القفز عن تاريخ تأثير الحضارة الإسلامية على ما لحقها من حضارات، بما في ذلك تغافل بعض المؤرِّخين لتأثير القرآن الكريم في الفكر المُنفتح والعلم.^(٢)

على أيِّ حال سرى هذا التقسيم للأداب العربية أو الحضارة الإسلامية الذي ابتكره المستشرقون النمساويون، وليس الإيطاليين، وأخذه عنهم المستشرقون الألمان، وأخذه عنهم بقية المستشرقين، وأخذه عن المستشرقين مؤرِّخو العلوم من العرب المتأخرين. يقول الصيد أبو ديب «وكثيرة هي الكتب والمصنفات التي وضعها المؤلفون العرب في تاريخ الأدب العربي أو في فترات محددة منه، تؤكِّد جميعها أنَّ أصحابها أخذوا بالمنهج الاستشرافي في دراسة

(١) انظر: الصيد أبو ديب، من مظاهر التأثر والتأثير في الفكر العربي المعاصر: نظرات في تقسيمات المستشرقين ومؤرِّخي العرب لتاريخ الأدب العربي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية (ليبيا)، ع ١٨ (٢٠٠١م)، ص ٣٠٦ - ٣٤٥.

(٢) انظر: مايكل هاملتون مورجان، تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفانيه، مرجع سابق، ٣٠٢ ص.

الأدب العربي بتقسيمه إلى عصور، وتناولوا كلَّ عصر بالدراسة المفصلة، كما تعددت – فيما بعد – الدراسات والبحوث التي لم تخرج في مسارها عن ذلك المنهج، مما عدَّه البعض أمراً جديداً في تلك الفترة»^(١). وينقل الصيد أبو ديب عن محمد عبدالمنعم خفاجي قائمة من تلك الإصدارات، ويضيف إليها عدداً آخر منها.

(١) انظر: الصيد أبو ديب، من مظاهر التأثر والتأثير في الفكر العربي المعاصر: نظرات في تقسيمات المستشرقين ومؤرخي العرب لتاريخ الأدب العربي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٠٦ - ٣٤٥.



المؤشر الثاني

البعثات التعليمية

إن الحضارة الإسلامية في الشرق والغرب المسلمين كانت ببعثات التعليمية تفدي من الغرب إلى الجامعات الإسلامية في الأندلس، وفي غيرها من حواضر العالم الإسلامي، مثل صقلية بالإضافة إلى الشرق الإسلامي. وأفاد الغرب من هذه البعثات التي عادت إلى أوروبا متأثرة باللغة والعلوم والسلوك، ولم تبرز ظاهرة تأثيرها على الثقافة الإسلامية، بل كان الطلبة يمثلون الجانب المتأثر الواضح التأثر.

الرسائل المتبادلة بين الخليفة الأموي المعتمد بالله هشام الثالث في الأندلس (٤١٨ - ٤٢٢هـ / ١٠٣١ - ١٠٣٥م) والملك جورج الثاني ملك بريطانيا تكشف مدى حاجة الغرب إلى النهوض العلمي والأخذ عن المسلمين. يكتب جورج م. أ. ملك إنجلترا والسويد والنرويج قائلاً: «إلى صاحب العظمة خليفة المسلمين هشام الثالث جليل المقام من جورج الثالث ملك إنجلترا والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام؛ بعد التعظيم والتوقير؛ فقد سمعنا عن الرقي



العظيم الذي تمتّع بفيضه الضافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العاصرة، فأردنا لأنّيائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في افتقاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربع. وقد وضعنا ابنه شقيقنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة من أشراف الإنجليز، لتشرّف بالشّم أهداب العرش والتّماس العطف، وتكون وزميلاتها موضع عناية عظمتكم وفي حماية الحاشية الكريمة، والحدب من قبل اللوائي سوف يقمن على تعليمهن. وقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكريم بقبولها، مع التعظيم والحب الخالص من خادمكم المطيع جورج م. أ.».

ويجيئه الخليفة الأموي هشام الثالث بالآتي : «الحمد لله رب العالمين والصلة والسلام على نبيه سيد المرسلين، وبعد؛ إلى ملك إنجلترا وإيكوسيا واسكتلنديا الأجل. اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنهم الأمر من أرباب الشأن، وعليه نعلمكم أنه سوف ينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين؛ دلالة على موذتنا لشخصكم الملكي. أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد، وبال مقابل أبعث إليكم بغالى الطنافس الأندلسية، وهي من صنع أبنائنا، هدية لحضرتكم، وفيها المغزى الكافى للتّدليل على التقائنا ومحبتنا. والسلام. خليفة رسول الله في ديار الأندلس : هشام الثالث». ^(١) وفي هذين الخطابين استنتاجات

(١) انظر: عبد الرحمن الحجّي، تاريخ الأندلس. محمد عبدالله عنان، =



حضارية كثيرة لمن أراد تحليلهما.^(١) على أنَّ هناك من ينفي تبادُل هذه الرسائل، من خلال تحليل مضمونهما.

لم يقتصر هذا النهج على الطلبة، بل إنَّ رجال الدين من النصارى والعلمانيين الغربيين كانوا يزحفون إلى قرطبة وطليطلة وإشبيلية؛ لكي يحضروا دروس الجامعات الإسلامية ومحاضراتها، كما يقول جاك ريسler في كتابه: الحضارة العربية.^(٢)

يؤكّد حسن حنفي أنَّ الغرب كان «يأتينا زمن هارون الرشيد يتعلّم من طلابنا وعلمائنا ورياضينا وصيادلتنا وصناعاتنا. ثم كنا نأتيه منذ القرن التاسع عشر وإرسال محمد علي البعثات التعليمية من أجل نقل المعارف والعلوم وتأسيس النهضة العربية الحديثة. واستمرت البعثات التعليمية في العصر الليبرالي في النصف الأول من القرن العشرين، وفي العصر الاشتراكي في النصف الثاني منه. وقد قلل إيقاعها نظراً لتحول مسار التاريخ وانتقال المركز الحضاري من الغرب إلى الشرق، ومن الغرب إلى الإسلام».

= تاريخ الأندلس. والوثيقة محفوظة في مركز جمعة الماجد للتراث والثقافة في دبي ضمن مجموعة من الوثائق، وضمن مجموعة من المراكز.

(١) في سبيل البحث عن توثيق لهذه المكتبات في الشبكة العنبوتية وجدت ١,١٢٠,٠٠٠ حالة دخول لهذه المعلومة (١٢/١٢/١٤٣٤ - ١١٧/١٣٢م). وهذا - كما يظهر - مؤشر طبّ يوحّي بشيء من السعي إلى إعادة الثقة بالمكانة الحضاري الإسلامي، والسعى إلى تمثيله، بما انطوى عليه من نظرية متسامحة مع الآخر.

(٢) نقاً عن عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٣٦٤.



فالقرن الواحد والعشرون هو قرن الصين صناعة، وقرن الإسلام حضارةً^(١).

ويضيف حسن حنفي: «وطبقاً لهذا التصور «البنديولي» للحضارات يزورنا الآن عديد من الباحثين والدارسين والصحفيين الغربيين لجمع المعلومات عن مصر والعرب، والإسلام والمسلمين، وينضم إليهم أحياناً رجال السياسة والأعمال، وزراء دفاع وثقافة، وشئون دينية وأصحاب شركات يريدون الاطمئنان على استثماراتهم من قبول للشعوب أو رفض لها، بصرف النظر عن موافقة الحكومات. فالشعب هو الأهم؛ لأنَّه هو الذي يعطي العمال وهو الذي يستهلك. وهو الذي يغضب ويثور، ويدمر ويحرق. وقد ينضمُ إليهم الجوايس والمتأمرون وأصحاب النوايا الشريرة، المثيرون للشعب الطائفي والعرقي في مسوح الرهبان».^(٢)

برز هذا واضحاً في حال الرسوم المسيئة لرسول الله ﷺ، حيث هبَّت حملة شعبية تنادي بالمقاطعة الاقتصادية لم المنتجات البلد التي ظهرت فيها هذه الرسوم المشينة، كما ظهر قبل ذلك بالاحتفاء بسلمان رشدي بعد أن نشر روايته: آيات شيطانية، وظهر بعد ذلك في محاضرة راعي الكنيسة الكاثوليكية ببنيكوت السادس عشر، ثم عند ظهور فلم «الفتنة» عن المخرج الهولندي جربت فيلدرز.

(١) انظر: حسن حنفي، العالم الوطني والزائر الأجنبي: قياس إرادة الشعوب يتحقق بالتعرف على نبض الشارع، جريدة الزمان، ع ٢١٦٣ (١٦ / ٧ / ٢٠٠٥ م).

(٢) انظر: حسن حنفي، العالم الوطني والزائر الأجنبي: قياس إرادة الشعوب يتحقق بالتعرف على نبض الشارع، المرجع السابق.

ولا يظهر أنَّ هذه الحملات ستتوقف عند مدى، ما يوحى بتغيير موقف الغرب من الإسلام، تبدو بوادره إيجابية، رغم ما قد يظهر منها البعض المتابعين. ولا تزال الحملات قائمة من دون تدخل مباشر ومعلن من الحكومات. وظهر كذلك واضحاً في مطالبة بعض أعضاء الكونجرس في الولايات المتحدة الأمريكية لفك الحصار الاقتصادي عن السودان للحاجة الملحة للصونغ السوداني الفاخر.

وهذه مهمة متأخرة من مهام المنصرين في الشرق عموماً، وفي المجتمع المسلم خصوصاً، في وقت تحذر بعض الكنائس من إرث بعثات تنصيرية تحت أيِّ اسم لمناطق قلقة، كأفغانستان والعراق ولبنان والصومال والسودان، في هذا الوقت الراهن، مما قد يؤدي إلى مأسٍ إنسانية للمنصرين الذين لا يُظهرون أنَّهم كذلك.

بعثات المعاكسة :

حين انتقلت الحضارة إلى الغرب تبعها الناس من الشرق ينهلون من معطياتها، فتحولت بعثات العلمية إلى أوروباً، منذ أدرك محمد علي باشا والتي مصر أهمية البدء بنهاية علمية وإدارية شاملة، فكان من الخيارات التي طرقتها هي إرسال أبناء المسلمين من مصر وغيرها لتلقي العلوم، ومن ثم نقلها إلى العربية.^(١) عرفت أول بعثة «الدفعة الأولى» التي تكونت من أربعة وأربعين (٤٤)

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٥٤٤ - ٥٤٥

عضوًا ببعثة محمد علي، تخصص معظمهم في العلوم التطبيقية والبحثة.

ذهب بعض هؤلاء الطلبة لدراسة العلوم الإسلامية والعربية في المراكز والمعاهد الاستشرافية،^(١) لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م)، حيث تدفق مجموعة من الطلبة العرب والمسلمين إلى الجامعات الغربية في الغرب الأوسط والأقصى، ومنهم من بقي يدرّس ويبحث في هذه المراكز، بعد حصولهم على الدرجات العلمية العليا من مراكز الاستشراق ومعاهده والجامعات ذات التخصصات العلمية التي يحتاجها الغرب قبل الشرق، ومنهم من بقي يعمل،^(٢) ومنهم من عاد لتطبيق المنهج الاستشرافي في دراسة العلوم الإسلامية والعربية.^(٣)

(١) تُم استعانا المستشرقين الجدد بأطقم مدربة جيداً على المنهج الاستشرافي من المتلقين العرب والمسلمين، الأمر الذي لم يكن وافرًا بهذا الوضوح مع الاستشراق التقليدي الذي استعان بنخب غربية أوروبية وأميركية وعلماء عرب. انظر: فاضل الريبيعي، ما بعد الاستشراق: الغزو الأميركي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م، ص ٢٥.

(٢) انظر: ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا في القرن العشرين، الاستشراق، ع ٣ (١٩٨٩م)، ص ١٠١ - ١١٢. - (سلسلة الثقافة المقارنة).

(٣) العلاقة المباشرة بين الاستشراق وعلماء الإسلام والعربيّة لم تكن مقصورة على هذا النوع من التلقّي، بل إنّها بدأت بشيء من التدّية من خلال مؤسسات علمية وتعلّيمية غربية وشرقية. انظر: سمير قصیر، تعليق / ترجمة محمد صبح. - ص ١٠٧ - ١١٣ ، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان، تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها / ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح، بيروت: قدموس، ٢٠٠٦م، ١٤٠ ص.

وذهب طلبة آخرون بوجه أوسع للدراسة تخصصات علمية تطبيقية وبحثة وتخصصات في العلوم الاجتماعية تحتاجها البلاد الإسلامية التي بعثتهم لها. وهؤلاء هم الكثرة الذين سطوا بتلقائيتهم قدرًا لا يُستهان به من تجسيير الفجوة في العلاقات الفكرية بين الشرق والغرب، وإن لم ينموا الإقامة الدائمة في الغرب، إلا أن وجودهم ترك أثراً إيجابياً على العموم في تجسيير هذه العلاقة، وإن لم يخل وجود بعضهم من قابلية التأثير بالتزعة المادية في النظرة للحياة، ومن ثم تأثر بعد الروحاني سلبًا لديهم، لما تلقوه بطرق غير مباشرة من وجود فجوة ذهنية بين العلم والروحانيات في الثقافة الغربية المستمدّة من الكنيسة، فعاد بعضهم ليثّيّ المنهج المعلم في إدارة الحياة.

لم تكن هذه البعثات تأخذ طابع التأثير المتوقع فقط، بل إنها مارست مهمة التأثير التلقائي، لا سيما أنَّ انتقال الحضارة إلى الغرب قد ووجه بنمط من أنماط الرفض من قبل بعض الفئات المتدينة المتطرفة في الغرب نفسه، فكان هناك تصادم بين الكنيسة والعلم، ما ألجأ بعض العلماء للخروج من هذا المأزق الحضاري إلى الترويج للعلمنة والحداثة بمفهومهما الفكري، حتى باتت أوروباً والحداثة «في الوعي الأوروبي العالمي معًا متزدفتين حتى يصح القول بأنَّ الحداثة صنعت أوروباً بقدر ما أنَّ أوروباً صنعت الحداثة».^(١)

(١) انظر: اختراع أوروباً، ص ١٨٧ - ٢٠٣ - في: جورج طرابيشي،

لا عبرة بما يُقال بأنَّ هذا الفصل بين العلم والدين أضحم في رفوف التاريخ، أو بمباغة أكثر وعلى حدٍّ تعبير برنارد لويس: في مزبلة التاريخ؛ لأنَّه لا يزال يلقي بظلاله في الثقافة الغربية. يقول بوسلهام الكاظُّ في عرضه لكتاب محمد عابد الجابري: مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب: ^(١) «و سنكون مخطئين إذا نحن اعتقينا أنَّ الغرب قد تحرَّر من تلك الخلفيات الثقافية الدينية التي كانت توجِّه فلاسفة التاريخ والمستشرقين وأنَّه الآن غربٌ علماني خالص، عقلاني بترجماتي لا غير». ^(٢)

برز هنا أثر البعثات التعليمية من الشرق إلى الغرب في التخفيف من هذا التصادُم من منطلق أنَّ الثقافات الأخرى، لا سيَّما الثقافة الإسلامية لا يتصادم الروحي فيها مع العلمي، أو الدنيوي مع الأخرمي، بل يكمل أحدهما الآخر، ^(٣) بما في ذلك وضوح أثر الطلبة المسلمين - رغم وجودهم المؤقت - الذين تلقَّوا علومهم على علماء الغرب، وتكون لهم جسراً للتعارُف بين الشعوب من

= هرطقات عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، بيروت: دار الساقِي، ٢٠٠٦م، ٢٢٩ ص.

(١) انظر: محمد عابد الجابري، مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥م.

(٢) انظر: بوسلهام الكاظُّ، العروبة والإسلام والغرب (الجابري)، الاجتهد. - ع ٥٤ . (بيع العام ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ)، ص ٣٤١ - ٣٤١ . ٣٥٥

(٣) انظر: صفي الدين حامد، ظاهرة الانتشار الإسلامي في الولايات المتحدة ومستقبلها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ص ٨٥ - ١٠٨ ، في: حسان حتّحوت وإكرام لمعي وصفي الدين حامد، الإسلام في أمريكا، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ١١١ ص.

خلال أوجه النشاط العلمية والثقافية والاجتماعية التي كانوا يقومون بها في المجتمع الغربي، فكانوا على العموم مثلاً لحسن الحُلُق من خلال التلقّي غير المشروط للعلوم، ومن خلال السلوكيات والنظرة الجاذبة للكون.^(١)

قد يتعرّض بعض الطلبة لمحاولات النظرة العلمانية للحياة وربما النظرة الإلحادية، بحيث يتعرّضون إلى زرع فكرة فصل الدين عن الدولة، وقصر الدين على السلوكيات الخاصة لمن أراد أن يتديّن. وهذا ما جعل بعض المعنيين والغيورين على الدين يتحفّظون على إرسال البعثات إلى بؤر العلمانية والفساد الفكري والأخلاقي، ولا يزالون يبدون هذا التحفظ من منطلق أنَّ أعضاء البعثات يتأثرون وقد لا يؤثّرون، وأنَّ للبعثات مخاطر ظاهرة.

لا يخفى كُلُّ من هاملتون جب (١٨٩٥ - ١٩٧١م) وهارولد بوون أثر التعليم العصري «المدني» من مزاحمة التعليم الأصلي «الديني»، لا لذاته ولكن بفعل البعثات التعليمية المسلمة إلى أوروباً وازدياد التعليم الأجنبي في الحواضر الإسلامية، وتمكين اللغات الأجنبية من مزاحمة لغة التعليم الأصلي، وأثر ذلك على لغة الكلام ولغة الأدب، وغير ذلك من الآثار في المجتمع المسلم، مما أدى إلى ظهور عدد كبير من المشكلات الاجتماعية.^(٢)

(١) وصل عدد المساجد في الولايات المتحدة الأميركيّة وحدها إلى أكثر من ٢٢١٠ مساجد في عام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، بزيادة نسبتها ٧٤٪ بعد الثاني والعشرين من جنادي الآخرة سنة ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٩/١١م، انظر: موقع مفكرة الإسلام. في ١٤٣٤/٨/٣ - ٢٠١٣/٦/١٢م.

(٢) انظر: هاملتون جب وهارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب / ترجمة =



وهذا موريس بوكاي يحذر من أنْ يسري هذا التأثير بين الطلبة المسلمين الذين يدرسون في الغرب، يقول: «كانت البلاد المسيحية، في تلك الفترة من القرون الوسطى، في ركود وتزمّت مطلقاً، توقف البحث العلمي، ليس بسبب التوراة والإنجيل وإنما - علينا أنْ نكرر ذلك - بأيدي هؤلاء الذين كانوا يدعون أنهم خدام التوراة والإنجيل. وبعد عصر النهضة في أوروبا كان رد الفعل الطبيعي أنْ يأخذ العلماء بتأثيرهم من منافس الأمس. وهذا الشار مستمرٌ حتى اليوم لدرجة أنَّ التحدث حالياً في الغرب عن الله في الأوساط العلمية يعتبر فعلاً علاماً الرغبة في التفرُّد. ولهذا الموقف تأثيره السيئ على العقول الشابة (وال المسلمة منها أيضاً) التي تتلقى تعليمينا الجامعي»^(١).

تؤكد آمال قرامي في هذا المقام أنَّ «لا مناص من القول إنَّ البعثات الدراسية إلى الخارج يسررت عملية اندماج المسلم في المدينة الغربية، ومحنته من الاطلاع على ديانات مختلفة وحضاريات متعددة، وأكسبته شيئاً من أساليب الحياة الغربية، ومن الاتجاه الغربي في التفكير والعلم والسلوك وما إلى ذلك. ومن ثمة صار

= أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة أحمد عزت عبدالكريم، ٢ ج، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م، ١:٢١.

(١) انظر: موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م، ص ١٤١. Maurice Bucaille. *The Bible the Qur'an and Science*. - Translated from French by: Alastair D. Pannell and the Author.- Indianapolis: North American Trust, 1978.- p 117.



«الارتداد» ممكناً، بخاصةً إذا علمنا أنَّ المبشِّرين كانوا حريصين على تتبع أحوال هؤلاء الطلبة واستغلال حالة الوحدة والعزّ التي يعاني منها أكثرُهم لفائدة تحقيق أغراض التبشير». (١) ويکاد معظم الطلبة «الأجانب» كما يسمُّونهم، من مسلمين وغير مسلمين، يتعرّضون لشكل من أشكال التنصير في المواسم الدينية وفي غيرها.

يؤيّد المستشرقُ ولفرد كانتول سميث الطبيبُ الفرنسيُّ موريس بوکای والباحثةُ آمالُ قرامي في هذا المنحى التأثُّري في كتاب له بعنوان: الإسلام في التاريخ الحديث، حيث يقول: «وقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب، واطلعوا على روح أوروبا وقيمها، وأعجبوا بها إلى أبعد حدٍ. وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوروبا بعدد لم يزد مع الأيام، وهم الذين سبّبوا استirاد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي... وكان مما صدره الغرب إلى العالم الإسلامي تلك الأفكار المتعددة والاتجاهات العقلية الدقيقة الفجّة والميول الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي، ويفوقها في ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية والاجتماعية ونفوذها الزائد... . وهكذا أثّرت عملية التغريب بسرعة وقوة بالغتين». (٢)

(١) انظر: آمال قرامي، قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث، تونس: دار الجنوب، ١٩٩٦م، ص ٤٩.

(٢) نقاً عن: محمد خليفة حسن، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

قد يتعرّض البعض الآخر من الطلبة المسلمين في الجانب الآخر لحملات التنصير من قبل بعض الكنائس، التي وضعت خططًا لتنصير «الطلبة الأجانب foreign students» أو هكذا يسمونهم من المسلمين وغير المسلمين،^(١) وتعاونت معها في ذلك مكاتب الطلبة الأجانب في الجامعات والكليات والمعاهد.^(٢) يقول مصطفى خالدي وعمر فُرُوخ: «مما لا ريب فيه أنَّ ذهاب الطلاب الشرقيين إلى أوروبَة وأمريكا يكسبهم شيئاً من أساليب الحياة الغربية ومن الاتِّجاه الغربي في التفكير والعلم والسلوك وما إلى ذلك. ولا ريب أيضًا في أنَّ لذلك حسناته وسيئاته. ولكن المبشِّرين يريدون أنْ يفيدوا من دراسة الطلَّاب الشرقيين في الخارج أمراً آخر. إنهم يريدون أنْ يجعلوا من هؤلاء الطلَّاب «نصارى» بالفعل أو مماثلين للنصرانية».^(٣)

يأتي استهداف الطلبة المسلمين من قبل الجمعيات التنصيرية لأسباب متوجَّحة منهم، ومن هذه الأسباب:

(١) وفقت سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م في مؤتمر تخصصي في أوهابو لأقوال: إننا لسنا طلبة أجانب، بل ربما أنا محليون أكثر من بعض المحليين أنفسهم. ولأننا نتعاش مع المجتمع الغربي متأثرين ومؤثرين طالبت بأن ندعى الطلبة الوافدين «international students».

(٢) يُنقل عن لوبي ماسينيون قوله: «إنَّ الطلَّاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسة يجب أنْ يلوَّنوا بالمدنية المسيحية». انظر: مصطفى خالدي وعمر فُرُوخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشِّرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٣م، ص ٨٩.

(٣) انظر: مصطفى خالدي وعمر فُرُوخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المرجع السابق، ص ٨٨.



- قابليةهم للتأثير الفكري المنظم ،
- ضعف ارتباطهم بمجتمعاتهم ، لا سيما العزّاب منهم ،
- طول مكثهم في الغرب مقارنة بالزوّار المتطيّبين والسيّاح ،
- كون إقامتهم في الغرب مؤقتة ، فيصبحون غرساً في مجتمعاتهم الإسلامية بعد تخرّجهم وعودتهم للخدمة في بلدانهم ،
- كونهم طلّاباً في مرحلة التلقّي والتأثير .^(١)

وهذه من صنوف التأثير التي يتعرّض لها الطلبة المسلمين. وإن لم يخل بعضهم من تأثر بالنمط اللهوي الغربي للحياة.

إلا أنَّ الطلبة المسلمين كان لهم أثر على من حولهم. فلم يكونوا مجرّد متلقّين متأثّرين ، ولا يملكون أنْ يكونوا كذلك. رغم ما يقال من ضآلّة التأثير من قبل الطلبة في مقابل تعرُّضهم للتأثير من خلال مسارات ووسائل عدة ذكرها إبراهيم القعيّد في كتابه: الطلبة المسلمين في الغرب .^(٢)

هذا المدى في التأثير المقابل ، مع وجود عامل التأثير ، يحتاج إلى بحث علمي يركّز على أثر البعثات التعليمية الإسلامية إلى الغرب وتأثيرها الإيجابي في رحلة التعارف بين الأمم .^(٣)

(١) انظر: محمد عمارة، الغارة الجديدة على الإسلام: بروتوكولات قساوسة التنصير، ط ٣، القاهرة: دار الرشاد، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٢١٥.

(٢) انظر: إبراهيم بن حمد القعيّد، الطلبة المسلمين في الغرب بين المخاطر والأعمال، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٥هـ، ص ٦٣ - ٨٥.

(٣) حذر بعض الذين كتبوا في هذا المجال من تأثر الطلبة المسلمين =

المهم هنا هو التنبه إلى عدم الانقياد إلى رد الفعل بمقاومة التقدُّم العلمي باسم الحفاظ على القيم الإسلامية، وتلك محاولة لإبقاء الشباب العربي المسلم عالَةً على هذا الانفصام بين الدين والعلم،^(١) بحيث يصبح هؤلاء الشباب في منأىً عن ربط العلم بالدين كما ربطه به الإسلام.

بالنماذج الغربية، على حساب النظرة المتوازنة بين المادة والروح. وكان هذا التوازن هو الرسالة التي حملها الطلبة المسلمين إلى الغرب. وقليل منهم من عاد إلى وطنه وهو خلو من هذه النظرة المتوازنة. انظر مثلاً: محمد لطفي الصباغ، الابتعاث ومخاطرها، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٦م.

(١) انظر: فرانسوا دي بلو، في نقد المستشرقين / ترجمة رضوان السيد، الفكر العربي، مجل ٥ ع ٣٢ (نيسان / إبريل) - حزيران (يونيو) ١٩٨٣م، ص ١٤٥ - ١٥١.

المؤثر الثالث

الوجود الإسلامي في الغرب

وهذا عاملٌ ثالثٌ مؤثرٌ في تحسين الصورة العربية الإسلامية في الغرب، ومن ثمَّ ترسيخ مفهوم التعايش بين الثقافات، هو تأثير الأسر المسلمة العاملة في أوروبا وأميركا (الغربيين الأوسط والأقصى) وتأثيرها، وإنْ كان يغلب على الأسر العربية والإسلامية في بدايات هجراتها لأوروبا أنَّ رجالها وبعض نسائها كانوا عاملين حرفيين متخصصين لقمة العيش، نازحين من بلادهم لا حبَّاً في التزوح إلى الغرب، ولكن طلباً للاستقرار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، لا سيَّما في الغرب الأوسط أو أوروبا الغربية (٧٥٪) من الجالية المسلمة في ألمانيا من الأتراك)،^(١) فعاشوا على قدر يسير من التأثير وأيسر منه على التأثير، وانغلق كثير منهم على أنفسهم، إلا أنَّ جيلاً من أولادهم نما في الغرب الأوسط وتعلم في المدارس الغربية، وأفاد من الإمكانيات ونظم التعليم العام والجامعة، من دون أن يفترط في هويته الإسلامية،^(٢) ما أدى إلى تطوير التعليم

(١) انظر: يورغن نيلسن، المسلمين في أوروبا/ ترجمة وليد شميط. - بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٥م، ص ٥٣ - ٧٦.

(٢) انظر: فريتس شتيبات، الإسلام شريكًا: دراسات عن الإسلام والمسلمين/ =

الإسلامي في التعليم العام والجامعي، الغربي الذي يفضي بدوره إلى تغييرات في الخطاب الأكاديمي والفكري حول الإسلام، ويقوّي الصلة بين المسلمين في الغرب وإخوانهم في العالم الإسلامي.^(١)

غلب على هذه الجالية المسلمة المسلمين الروس والأترارك والبلقانيون والمغاربة في ألمانيا وهولندا، والهنود - بمن فيهم الباكستانيون والبنغلاديشيون - في بريطانيا، ومواطنو شمال أفريقيا ومسلمو أفريقيا عموماً في فرنسا، والشمام من المسلمين وغير المسلمين في أميركا الوسطى والجنوبية، وخليل متعدد من الكل في أميركا الشمالية،^(٢) التي يُذكر أنها شهدت هجرات مسلمين من الأندلس قبل اكتشاف كريستوفر كولومبس لها،^(٣) من دون إغفال مشاركة المسلمين والعرب في الحروب الأوروبية وخضوعهم للأسر وللمصائر التي تعرّض لها غيرهم، إلا أنهم على ما يبدو

ترجمة عبد العفار مكاوي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ١١٥ - ١١٧، (سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٠٢).

(١) انظر: شتيفان رايسموت، خطابات الاستشراق؟ موقع الدراسات الإسلامية والشرقية في ألمانيا اليوم / ترجمة عدنان حسن. - ص ٩٣ - ١٠٥ - في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرfan، تأملات في الشرق، مرجع سابق، ١٤٠ ص.

(٢) انظر: صلاح عبدالرزاق، المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتنائهم بالإسلام، ٢ ج. - بيروت: دار الهادي، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ٢: ٢٦٩ - ٢٦٩.

(٣) انظر: عثمان أبو زيد عثمان ومحمد وقيع الله أحمد، الوجود الإسلامي في أمريكا: الواقع والأمل، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٦هـ، ١٤٦ ص، (سلسلة دعوة الحق؛ ٢١٢).

منسيون في ضوء طغيان المطالبة بالتعويضات والحقوق لمن تعرضوا للأسْر والإبادة - من اليهود بخاصةً - في الحرب العالمية الثانية على الخصوص.^(١)

نتيجةً لهذا المسار الإيجابي في التعامل مع الجالية المسلمة ظهر من أصلاب العاملين البسطاء الذين كُوِّنوا في البدء الجالية المسلمة جيلٌ عالمون متعلمون، ظهر عليهم التأثر أولاً، ثم بدا منهم قدر من التأثير. وهذا يعني أنَّ نسبة الوجود العمالي المسلم يتضاءل، في مقابل زيادة نسبة الوجود الإسلامي المحترف من الأكاديميين والباحثين وأصحاب المهن الحرة والتعليم والطب والهندسة.^(٢)

بدأ هذا الجيل المتعلِّم، المتشيّع بالأسلوب الغربي في التعايش، يدخل «معتركات» الحياة الغربية بثقل وشخصية تختلف نوعاً ما عن شخصية الرجل الأبيض ذات الأبعاد العرقية، ما يعني أنَّ هناك نزوعاً للتزاوج الثقافي والاجتماعي الذي يُسهم في التقليص من الفجوة العرقية، فبرز تأثير هذا الجيل ثقافياً، رغم ما تتعرَّض له الجالية العربية والمسلمة من صنوف التفرقة العنصرية التي تتعرَّض لها الجاليات الإثنية والعرقية والثقافية الأخرى، ولكن بمقاييس مختلف.^(٣)

(١) انظر: غرهد هُب، العرب في المحروقة النازية: صحايا منسيون / ترجمة محمد جديد، مراجعة زياد منى، دمشق: قُدُمس، ٢٠٠٦م، ١٥٣ ص.

(٢) انظر: مسعود الخوند، الأقليات المسلمة في العالم: انتشار المسلمين في البلدان غير العربية وغير الإسلامية، ط ٢، بيروت: الشركة العالمية، ٢٠٠٦م، ١٦٢ ص.

(٣) انظر: بولسهام الكُظُّ، العروبة والإسلام والغرب (الجابري)، الاجتهاد، ع ٥٤ (ربيع العام ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ)، ص ٣٤١ - ٣٥٥.



أدى هذا الاندماج المُبقي على هويته الثقافية والحدّر من الذوبان الثقافي وتأثير الإيحائية الإسلامية الشاملة،^(١) إلى النظر في أنَّ هذا الوضع قد يهدّد الثقافة الغربية نفسها، في ضوء تبني الأسر المسلمة في الغربين الأوسط والأقصى، وارتفاع المآذن وعمارة المساجد وإنشاء المراكز الإسلامية والمؤسسات الاجتماعية والتربوية والتعليمية والنوادي، والسعى إلى إيجاد بيئة إسلامية عربية للأفراح والأتراح، والنظر في المشكلات والقضايا الاجتماعية التي يحكمها الإسلام، مثل قضايا «الأحوال المدنية أو الشخصية» من زواج وطلاق وحضانة الأطفال وتربيتهم،^(٢) والتقاليد الإسلامية للمرأة والأسرة والمجتمع المسلم،^(٣) في ضوء القوانين المحلية التي بدأت تراعي في صياغتها لقوانينها هذه الحالات منذ التسعينات الهجرية من القرن الرابع عشر الهجري الماضي، السبعينيات الميلادية من القرن العشرين الميلادي الماضي، في خطوة من خطوات متلاحقة للاعتراف بالوجود الإسلامي في مجتمعات غير مسلمة،^(٤) ما أحدث بعض ردود أفعال غربية غير متسامحة ومتوّقة

(١) انظر: مسعود الخوند، الأقليات المسلمة في العالم: انتشار المسلمين في البلدان غير العربية وغير الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٢) انظر: لوسي كارول، المرأة المسلمة والطلاق الإسلامي في إنجلترا/ ترجمة أبو بكر باقader، الاجتهد، ع ٣٩ و ٤٠ (صيف وخريف العام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص ٢٢٩ - ٢٦١.

(٣) انظر: برنارد بوتيفو، التقاليد الإسلامية للأسرة في السياق القانوني الفرنسي/ ترجمة نور محمد العامودي، الاجتهد، ع ٣٩ و ٤٠ (صيف وخريف العام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص ٢٦٣ - ٢٧٨.

(٤) انظر: ديمة عبدالرحمن، الإسلام في ظل ظروف شمالية أوروبية =

لهذا المنحى في اندماج الأسرة المسلمة في المجتمع، كال موقف من حجاب المرأة في فرنسا وارتفاع المآذن في سويسرا، وما سيأتي بعد من مؤشرات التضييق، التي تعكس دائمًا سلباً على المضيقين.

فانبرت بعض الرؤى الغربية التي تسعى إلى إعادة تهجير الجاليات المقدور على تهجيرها إلى حيث أنت، لا سيما الإسلامية منها؛ حمايةً للثقافة الغربية من سيطرة الثقافة الإسلامية عليها، لذلك قامت أحزاب سياسية وجمعيات يمينية متطرفة رفعت شعار إعادة تهجير الجاليات، بعدما بُدا أنها غير مرغوب فيها في ضوء تنامي البطالة بين سكان البلاد الغربيين الأصليين، واستغلال الجاليات لفرص العمل، ثمَّ النظر إلى الجالية المسلمة على أنها تقع في أدنى درجات السُّلم الاجتماعي، وأنها قد ملأت السجون بأولادها الذين جعلوا - برأي هذه الفتاة - من الجريمة والمخدرات منفّضاً للحياة الاجتماعية في الغرب،^(١) فحملت الجالية المسلمة مغبة هذا الوضع الذي نتج عن نوع من العنصرية التي تمارس على الجاليات عموماً.

إلا أنَّ الصلات السياسية والثقافية مع دول العالم الإسلامي قد

= الفلسطينيون في برلين/ ترجمة أبو بكر باقادر، الاجتهد، ع ٣٩ و ٤٠ (صيف و خريف العام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)، ص ٢٧٩ - ٢٩٣.

(١) انظر: فريتس هينcker، قوى عاملة من البلاد العربية في جمهورية ألمانيا الاتحادية، ص ٤٨٣ - ٤٨٠، في: ألمانيا والعالم العربي: دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه، مرجع سابق، ٦٤٦ ص.

قللت من تأثير هذه الحملات على الجالية المسلمة، وحافظت في الوقت نفسه على المؤسسات الإسلامية في الغرب، ما ساعد على اندماج الجالية المسلمة في المجتمع الغربي العلماني الذي «قد يدعى العلمانية، ولكنه يقيم المهرجانات المسيحية على قاعدة أسبوعية أو سنوية، ويفسح في المجال أمام مدارس ودورس تسعى إلى تعزيز ترجمة المسيحية». ^(١) ويتلى الإنجيل والكتب المقدسة يومياً في معاقل العلمانية السياسية. ^(٢) أدى هذا الوضع المتدين إلى تنامي الانتفاء للإسلام والتزوع إلى التمسك بأحكامه في ضوء غموض الفكر العلماني الكلّي أو الشامل تطبيقاً.

إذا قيل إنَّ الحضارة الإسلامية بمعايير القوى المادية قد تراجعت «إلا أنه ما زال للعملة وجُه آخر أكثر أهمية وأكثر حيوية»، وهو منظومة القيم في الإسلام ورسالته للعالمين. ومن هنا يمكن أنْ نفهم كيف يمكن أنْ يصبح مسلمو المهجّر أو مسلمو الغرب رصيداً للإسلام في الغرب من خلال هذا الاحتكاك الانسيابي الهادئ، ومن ثَمَّ فإنَّ إستراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في

(١) انظر: الهجرة في أوروبا اليوم، ص ١٣٥ - ١٥٤، في: جاك غودي، أوروبا والإسلام، بيروت: دار عويدات، ٢٠٠٥ م.- ٣٢٣ ص. وانظر أيضاً، جاك غودي، الشرق في الغرب/ ترجمة وتحقيق محمد الخولي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٨ م، ٥٩٧ ص.

(٢) انظر: أحمد شاهين، صناع الشر، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤ م، ٢٠٧ ص، (سلسلة أقرأ، ٦٩٥).

الغرب وتجاهه هي جهاد من نوع خاص يستوجب كلّ سبل المساندة»^(١).

يؤدي هذا الاندماج إلى ترسيخ القيم والمُثل والثقافة الإسلامية في بلاد المهجّر،^(٢) لا من حيث الممارسات الخاصة فحسب، بل من حيث العلاقات مع الآخرين من منطلق إضافة الإسلام «إلى رصيد العدالة العالمية بعض الحماية من جحيم فساد البشر الأخلاقي؛ فمن الناحية التاريخية كان الدين والحضارة يقاومان قوىًّا أسهمت فيأسؤاً ما شهدته القرن العشرون من البربرية لبعض الفترات: العنصرية والإبادة الجماعية والعنف داخل المجتمع»^(٣).

كما يؤدي هذا الاندماج إلى تسنم المسلمين مستويات عملية وعلمية وتقنية وفنية وأكاديمية وسياسية فرضت وجودها في

(١) انظر: نادية محمود مصطفى، حوار الحضارات: إشكالية الجدوى والفعالية، موقع ١٤٢٩/٧/١٨ <http://www.islamonline.net/arabic/mafaheem> - (٢٠٠٨/٧/٢٢).

(٢) المتواتر بين المسلمين وغير المسلمين الذين يعيشون في مجتمع مسلم هو تمثيل غير المسلمين الثقافة الإسلامية دون الإيمان بالإسلام. ظهر هذا واضحاً في المجتمع العربي، حيث عاش النصارى العرب بين المسلمين العرب متمثلين جميعاً الثقافة الإسلامية في مثلها العليا من دون شعور بتهديد هذا التعايش للمسار الديني الصراني. وهذا موضوع يستحق البحث بالنظر إليه على أنه مؤشر عملي واقعي للتعايش بين الثقافات.

(٣) انظر: علي الأمين المزروعي، القيم الإسلامية والقيم الغربية، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، د. ت، ص ١٨ (سلسلة دراسات عالمية؛ ٢١).

المجتمعات الغربية،^(١) ويتعدّر تهجيرها من الغرب، ناهيك عن فكرة التعقيم التي سعى بعض الدول الأوروبية إلى ممارستها على الغجر والفقراء، ومعظم المهاجرين من القراء، عملاً بنظرية تنقية العرق الأبيض من مورثات التخلف الصحي أو العقلي،^(٢) أو الاجتماعي والثقافي، لا سيما أنَّ الدين الإسلامي أصبح هو الديانة الثانية في الغرب الأوسط [=أوروبا الغربية]، وهو في تزايد.^(٣) ليكون الدين الأول في الغرب الأدنى والأوسط مع حلول سنة ٦٤٤هـ/٢٠٢٥م - بحلول الله تعالى - أو قبل ذلك - كما هي البوادر. عاش هذا الدين وانتشر ويزداد بهذه الصورة، عن طريق النموذج والقدوة - أو الدعوة الصامتة - التي تُعدُّ «من أرقى الوسائل وأهمُّها [تلك] التي توثر بشكل حقيقي وفعَّال في الطرف الآخر».^(٤)

(١) يذكر علَّال سيناص أنَّ بعض الدراسات الاجتماعية قد أثبتت أنَّ قدرة الغرباء على العطاء تكون في أقوى صورها إذا كان هؤلاء الغرباء على معرفة جيَّدة بثقافة بلدِهم الأصلي. انظر: سعيد اللاوندي، الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟ القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م، ص ٢٨٣.

(٢) مورس التعقيم فعلاً بين سنتي ١٩٣٥ - ١٩٧٦ في الدول الاسكتلنافية، وتناولت عمليات التعقيم ستين ألف (٦٠,٠٠٠) شخص. انظر: محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، ط ٢، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. - ص ٣٦.

(٣) انظر: صلاح عبدالرزاق، المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتمادهم على الإسلام، مرجع سابق، ٢: ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٤) انظر: محمد محفوظ، الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م، ص ٢٠٨.



لم يُعد «من المتخيل أبداً أن يشهد وجود الإسلام في الغرب تراجعاً ما، فلا يمكن إلغاء هجرة العمالقة الواقفة من المسلمين إلى أوروبا، ولا وقف هجرة الأكاديميين المسلمين إلى أميركا الشمالية، ولا تعطيل استجابة الأعداد الغفيرة من الأفرو – أميركيين لدعوة الإسلام واعتناقهم إياها». ^(١) هذا بالرغم من الشعور بالزحف الإسلامي الجديد المتمثل في القوة العاملة المسلمة في الغرب. ^(٢) وبالرغم من الدعوات الشرقية لعودة «العقل المهاجرة»، وتهيئة الأجواء المناسبة لها، علمياً واجتماعياً، بل وسياسياً واقتصادياً، الأمر الذي يشكُّ فيه المهاجرون، ولا يرون إلا دعوات مثالية لا يؤيّدها الواقع!

بالإضافة إلى الرأي القائل بأنَّ توجُّه أوروبياً للشرق الإسلامي من حيث التأثر بالقيم الإسلامية حقيقة قادمة وقدر محظوظ، ^(٣) الأمر الذي لا ينبغي أخذُه بسطحية، رغم حملات التطهير العرقي في

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود/ تعرّيف عادل المعلم ويس إبراهيم، القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٩٨.

(٢) انظر: يومنس الفقيه، صور العرب الغربية: انحرافات منهجية، ص ٥٠٩ - ٥٢٧، في: عبدالواحد لؤلؤة، وأخرين، محرّرين، العرب والغرب: أوراق المؤتمر العلمي السنوي السابع لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا، مرجع سابق، ٥٩٩ ص.

(٣) انظر: زيغريد هونكه، التوجُّه الأوروبي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محظوظ/ ترجمة هاني صالح. - تقديم إسماعيل مرؤَّة، بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ٢٩٥ ص.



يوجوسلافيا السابقة «البوسنة والهرسك وكوسوفا»،^(١) وفي البلقان عموماً، في الوقت الذي تشهد فيه الأجناس الأوروبية، خصوصاً في الغرب الأوسط [=أوروبياً الغربية]، تضاؤلاً في التكاثر وانحدار معدل الإنجاب إلى ١,٢٪ في معظم الغرب الأوسط [=أوروبياً الغربية] والغرب الأقصى [=الأمريكتين]، مما ينذر بتقلص هذه الأجناس ديموغرافياً في هذه البقع من العالم، إذ إنَّ الحدَّ الأدنى للبقاء والاحتفاظ بعجلة الاقتصاد ساريةً لا ينبغي أنْ يتضُّص عن ٢,١٪، وكما يشَّخص ذلك باتريك ج. بوكانان في كتابه: موت الغرب.^(٢)

ليس المراد هنا ما تردد من أقول الغرب ثقافياً، إذ إنَّ بعض المفكِّرين يرى في إطلاق هذا المفهوم ترجمة لأمانٍ عند البعض أو ترجمة لنظرة تشاؤمية عند آخرين، فقد قيل إنَّ الغرب يزداد بالتغريب، أي بالتوسُّع في الانتماء للغرب، لا سيما مع انتهاء الاتحاد السوفيتي وسعى كثير من جمهوريات الاتحاد السوفيتي الأوروبي وبعض دول البلقان إلى الانضواء تحت مفهومات الثقافة الغربية، بما في ذلك التسابق في الدخول في منظومة الاتحاد الأوروبي، سياسياً واقتصادياً على الأقلّ، خلافاً

(١) انظر: جاك غودي، أوروبا والإسلام، مرجع سابق، ٣٢٣ ص.

(٢) انظر: باتريك ج. بوكانان، موت الغرب: أثر شيخوخة السُّكَّان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب / نقله إلى العربية محمد محمود التوبة، راجعه: محمد بن حامد الأحمرى، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م - ٥٢٩ ص.



لمن قال بأفول الغرب تأسياً بشبنغلر الذي يبدو أنه متشائم من أفول الثقافة الغربية، لا الحضارة الغربية، وربما وافقه على ذلك كل من كروشه وبرغسون وتوبينبي .^(١)

على أنَّ رؤية بوكانن لا تنطلق من مفهوم فلسفي إنسائي توقيعي متمنٍ (wishful thinking)، بل إنَّها تنظر إلى هذا الموضوع نظرة ديمografية مشبعة بالبيانات والإحصائيات والحقائق. وهو رأي مؤيدٌ من الفيلسوف العربي جورج طرابيشي الذي يتساءل عن مصير عشرات الملايين من الجاليات التي انذاخت إلى أوروبا في أنْ يؤمِّن لها أهل أوروبا الاندماج العادل، حيث لا غنى لهم عنهم منذ دخول أوروباً «في طور أفول ديمografي متسارع. ويتغير آخر هل ستفلح أوروباً في تجاوز مركزيتها الإثنية لتصير كونية؟».^(٢)

يؤيد هذا أنَّ بعض الإحصاءات ترى أنَّ نسبة المسلمين بين الأوروبيين البالغين، أربع مئة وخمسين مليون (٤٥٠,٠٠٠,٠٠٠) نسمة، تصل من ٣,٥٪ إلى ٥,٥٪، ويتأرجح العدد الفعلي للMuslimين بين ١٥ إلى ٢٥ مليون مسلم، وأنَّ نسبة الشبان بين المسلمين الموجودين في الغرب تصل إلى ٥٠٪، بينما تتضاءل

(١) انظر: جورج طرابيشي، *ازدواجية العقل: دراسة تحليلية نفسية لكتابات حسن حنفي*، دمشق: دار بترا، ٢٠٠٥م، ١٤٥ - ١٥٢. (سلسلة المرض بالغرب، ٢).

(٢) انظر: اختراع أوروباً، ص ١٨٧ - ٢٠٣ ، والنصل من ص ٢٠٢ -. في: جورج طرابيشي، *هرطقات عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية*، مرجع سابق، ٢٢٩ ص.

نسبة الشبان الأوروبيين إلى ١٨٪، وهي - لأسباب اجتماعية وأسرية كثيرة - في تضاؤل مضطرب. «وهذا يعني أنَّ النسبة ستكون - بعد عدد محدود من السنوات - هي نسبة الوجود الإسلامي الفاعل في إطار فئة أعمار «الإنتاج والإدارة» في مختلف الميادين، وربما يشمل ذلك، ولو جزئياً ولكن بصورة متضاعدة، قطاعات واسعة على صعيد الإسهام في صناعة القرار عموماً». ^(١)

لا يغفل هذا الرأي تفسيّي البطالة بين الشبيبة الإسلامية، وما يتبع ذلك من مشكلات اجتماعية وأمنية، ما يستدعي تدخلاً رسمياً في احتواء هذه القضية، مما يزيد من التفاؤل في الاندماج الاجتماعي، ^(٢) بما في ذلك تدخل العلماء المسلمين ووضع برامج توعوية، بالتعاون المباشر مع السلطات الأمنية في البلاد الغربية، على غرار ما هو قائم بين القيادات الدينية والدعوية المسلمة وسلطات السجون، لا سيما أنَّ نسبة المسلمين في السجون الفرنسية - مثلاً - هي الطاغية بقوَّة، مما يستدعي التدخل المدروس من الأطراف المعنية كافةً.

ورغمَا عن هذه النظرة المتفائلة حول الاندماج، تظهر الآراء

(١) انظر: مسعود الخوند، الأقليات المسلمة في العالم: انتشار المسلمين في البلدان غير العربية وغير الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٢) انظر مناقشة فكرة الاندماج لدى: مسعود الخوند، الأقليات المسلمة في العالم: انتشار المسلمين في البلدان غير العربية وغير الإسلامية، المراجع السابق، ص ١٦٤ - ١٦٧.



الأخرى التي ترى هذا الترتيب مستحيلًا على الواقع المعاش، فها هو المفکر الفرنسي جاك أتالي يؤكّد أنَّ اندماج الجالية المسلمة في فرنسا من الفرنسيين أو من مُكتسي الجنسيّة الفرنسية بالنصارى الفرنسيين وغير النصارى لا تزال صعبة وشبه مستحيلة. «هذا الاندماج مسألة صعبة للغاية بل شبه مستحيلة. هذا واقع. فعلى حدٌ علمي لا يوجد مسلم واحد في الحكومة الفرنسية، ولا يوجد مسلم في البرلمان الفرنسي، ولا يوجد مدير شرطة مسلم، وإنْ كان هناك بعض المديرين من أبناء المهاجرين الجزائريين الذين انضمُوا إلى الجيش الفرنسي، كما لا يوجد في فرنسا مسلم واحد رئيسًا لجامعة أو مركز أبحاث كبير. وهكذا يتضح أنَّ المدينة الفاضلة هي كذبة على النطاق الدولي». ^(١) وكان هذا الانطباع عند تأليف الكتاب، قبل نشره سنة ٢٠٠٣ هـ / ١٤٢٣ م، والمعادلة تتغيّر بوتيرة متسرعة. إلا أنَّ التعبير الفرنسي عن الشخصيات المسلمة الفاعلة في المجتمع يجعلهم فرنسيين، ويركّز على العرب والمسلمين عند حدوث إخلالات أمنية. ويدخل هذا في مفهوم الكيل بمكيالين.

لا ينظر أوليفيه روا أنَّ هذه مشكلة المسلمين في المجتمع الأوروبي، ولكنه يعتقد النظام النموذج العلماني الفرنسي الذي بدأ يكيل بمكيالين، وصار بهذا يجد قبولاً لدى بعض الدول الأوروبية

(١) انظر: زبير سلطان قدوري، الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١: دراسة، دمشق: اتحاد الكتب العربية، ٢٠٠٣م، ص ١٣١.



الأخرى، التي تلجم إلى الخروج عن الخط العلمني عندما يتعلّق الأمر بالسلوكيات الإسلامية في بيئه ترفع لواء العلمانية.^(١)

لا يجب أن ينظر للاندماج الإسلامي في الغرب «على أنه اندماج سلبي، أو خائف، أو أنه من هذا النوع من الخيارات التي لا بدّ منه؛ لأنّه لا خيار سواه، بل يجب اعتباره مساهمة من المسلمين في بناء أوروبا. فوجود المسلمين هو إغناء حضاري وروحي في قلب مجتمعات يغلب على حياتها الطابع المادي الديني». ^(٢)

لا تنتهي هذه الفقرة من دون التعرّيج على احتمال وجود جالية عربية مسلمة في الغرب عندها قسط من الثقة ذات التزعة الليبرالية أو الماركسية. «هؤلاء المسلمين المثقفون يستغلّون المصداقية التي يحظون بها في وسائل الإعلام الغربي للدعائية لما يسمّى بالإسلام الأوروبي EurokashidaIslam، وهو قليل من الإسلام كثير من الأوروبي. هؤلاء المثقفون يجعلون المسلمين النشطين الآخرين يظهرون بمظهر المتطرفين». ^(٣)

يسأله مراد هو فمان على لسان بعض الأوروبيين إزاء هذا الانقسام بين المسلم وثقافته: «هذا الأمر يؤدّي دوماً إلى أسئلة من

(١) انظر: Olivier Roy. Secularism Confronts Islam/ translated by George Holch.-

New York: Columbia University Press, 2007.- 144 p.

(٢) انظر: مسعود الخوند، الأقليات المسلمة في العالم: انتشار المسلمين في البلدان غير العربية وغير الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٧ .

(٣) انظر: صلاح عبدالرزاق، المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتمادهم الإسلام، مرجع سابق، ٢ : ٢٦٨ .



قبيل: لماذا لا تستطعون أن تكونوا مثل هؤلاء المثقفين؟ فهم لا ي يريدون بناء مساجد، ولا يحجّون، ولا يصلُّون دوماً، كما أنهم يتناولون الخمر، ويسمحون لنسائهم بالخروج مكشوفات الأذرع، أو ليسوا هم مسلمين؟»^(١).

كما لا تنتهي هذه الفقرة من دون التعرّيج على فئة من المسلمين والعرب القلقين الذين وجدوا في الغرب مأوىً لهم، بعد أن ضيّقت عليهم بلدانهم بحقّ أو من دون وجه حقّ في الغالب الأعمّ. ويغلب عليهم الغلوّ في الدين أو في الفكر السياسي وإظهار المعارضة لأوطانهم الأم، وبعضهم يدعى ذلك دونما حقيقة قائمة ولا حجّة مقنعة ولا رؤية عميقه.^(٢)

تتلقّفهم دول الغرب بحجج مختلفة، منها استخدام أسلوب حقّ اللجوء السياسي أو حقوق الإنسان، وربما دعمتهم دعماً غير مباشر وغير مرئي، فيسيء هؤلاء إلى الثقافة الإسلامية وإلى بلادهم التي تتمثل هذه الثقافة الإسلامية أو تكون قريبةً من تمثيلها، بل ربما كان فهمهم للدين قاصرًا ويغلب عليه الهوى، مع أنَّ هذا الدين علمٌ، ولا يؤخذ بالهوى. ويتصرّفون تصرّفاتٍ طاردةً عن الدين، وهم يحسبون أنهم يحسّنون صنعاً، ويسيئون كذلك إلى ثقافة البلاد التي آوتهم، ويعيشون على هامش المجتمع، وربما عاشوا فيه

(١) انظر: مراد هوفرمان، الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٢) انظر: يورغن نيلسن، المسلمين في أوروبا، مرجع سابق، ص ٥٣ - ٧٦.



عشرات السنين دون أن ينظروا إلى الاندماج فيه والتعايش معه،^(١) حتى في لغة الاتصال لا يكادون يتفاهمون مع المجتمع بلغته.^(٢)

وهولاء يكونون لهم أتباعاً من الأسر المسلمة، ومن الداخلين الجدد في الإسلام (حديثي العهد بالإسلام) من المواطنين الأوروبيين وغيرهم من المقيمين في أوروبا، وربما دخل بينهم من لا يتفق معهم في الأهداف، وإن اتفق معهم في المستهدف، وربما دخل بينهم من لا يتفق معهم لا في الهدف ولا في المستهدف.

لا يتوقع لهذه الفئة أن تعيش ب平安 من تغيير وجهات النظر الغربية داخل الإطار القانوني، لا سيما إذا تمتد هذه الفئة في الإساءة إلى دولة المقر وإحراجها أمام دولهم التي جاؤوا منها، حتى إذا ما ظهر عليهم ما يهدّد الأمن الوطني للبلد التي تؤويهم، أو استئذنوا كورقة تهديد تُستخدم ضد بلدانهم الأمّات، انقلب عليهم البلد التي آوتهم، وصادرت مقتنياتهم الوثائقية وتحفظت على أرصادتهم في البنوك التي حصلوا عليها من دعومات الأجهزة الاستخبارية أو من مؤيديهم أو من المتعاطفين معهم، لا الملتقين معهم في الهدف بالضرورة، بل ربما الملتقين معهم في

(١) انظر: حسني عيدي، المسلمين في أوروبا بين الاندماج والتهميش، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠١٠م، ٦٢ ص، (سلسلة محاضرات الإمارات؛ ١٣٧).

(٢) منطق بعض الجاليات التألف من وجودهم في الغرب، والتألف من الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلدانهم، فيعيشون بهذا الموقف في فلق مستمر يصل إلى حد الانقسام.

المستهدف ، واحتجزتهم أو طلت منهم المغادرة إلى أي وجهة يرتكبونها أو سلمتهم لمن يطلبونهم ، فيتبين لهم الأمر بعد فوات الأوان ، ولات حين مندم ! فتأخذهم العزة بالإثم - وقد تورّطوا - فلا يستطيعون الإفصاح عن هذا الوضع الذي آتوا إليه ، إما خوفاً على حياتهم وحياة أسرهم ، أو ضتاً بمكاناتهم التي وضعوا بها ، لا سيما بعد أن صار لهم أتباعٌ ومربيدون وأنصار ، فيتخلّى عنهم غالباً أتباعهم ومربيديهم وأنصارهم .

هذه الفتنة من المسلمين ممن يعيشون في الغرب لا تعين على صناعة الوئام ، ولا تستغل وجودها في الغرب لتعمل على تقوية مقوّمات الالتقاء والتلاقي والتواؤم بين الثقافات ، بل ربما أساءت إلى ثقافتها والثقافة التي آتواها بلدانها ، فأعانت غيرها على تقديم صورة مشوّهة عن الإسلام والمسلمين ، فغدت - دونما قصد مباشر منها - عاملًا من عوامل صناعة الكراهية .^(١) ونماذج هذه الفتنة في البلاد الغربية كثيرة .

ويشنُّ الخبير بالشؤون الإسلامية الأستاذ حسام تمام ، في مقالة له على الإنترنت (٧/٥/٢٠٠٨هـ - ١٤٢٩هـ) عنوانها: الجاليات المسلمة في الغرب : المواطنة أو.. الرحيل ! هجوماً ساخراً على هذه الفتنة من الجالية العربية التي تستغل وجودها في الغرب في

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة، صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م، ١٧١ ص، (سلسلة نقد العقل المعاصر).



ضوء ما يتتيحه القانون من تحرك لتسيء إلى نفسها وإلى ثقافتها. لهجة المقالة هذه لا تعين على الاقتباس منها؛ لأنها قشت - كما يبدو - على هذه الفئة منبني الإسلام، ولم تعالج هذه المشكلة - على ما يبدو كذلك - معالجةً موضوعيةً تعين على السير في تحسين أوضاع الجالية.

البعد الذي لا ينبغي أن يتجاهل في منحى التأثير والتأثير لدى الأسر العربية والمسلمة في الغرب، هو تأثير الأسر العربية والمسلمة، التي يقدر عددها بواحد وخمسين (٥١) مليون نسمة وتزيد، في أميركا اللاتينية المتأثرة ابتداءً بالجزيرة الآييرية التي تبنت الحكم الإسلامي لمدة زادت عن ثمانين مئة (٨٠٠) سنة من نهاية القرن الهجري الأول، نهاية القرن السابع الميلادي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م.^(١)

(١) الجالية العربية والمسلمة في أميركا اللاتينية لها وضع مختلف يطول الحديث عنه. وقد شحّصته خيرة الشيباني بإيجاز غير مخلٌ. انظر: خيرة الشيباني، دور الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية، ندوة الألكسو للحوار العربي الإيباري - أمريكي عندما تتجاوز قصدية اللقاء مجرد التوستalgija، مجلة أفكار إلكترونية /١/٧ <http://www.afkaronline.org/arabic/archives/alecso.html> .

٢٠٠٩/١/٣ - ١٤٣٠م).

المؤثر الرابع

المسلمون الغربيون

من العوامل الفاعلة في مناحي التأثير والتأثير بين الثقافتين الإسلامية والغربية وجود مسلمين غربيين، لهم أثراً هم في القيام بدور الوسيط بين الدول الغربية والرأي العام الغربي من ناحية وبين المسلمين من ناحية أخرى. ويتم ذلك من خلال تنظيم يقترحه المستشرق الألماني الراحل فريتس شتيبات (١٩٢٣ - ٢٠٠٦م) يقيمه المسلمون الغربيون،^(١) بحيث يفضي إلى اعتراف الدول الغربية بهم اعترافاً كاملاً.^(٢) يذكر يورغن نيلسن في: المسلمين في أوروباً أنه كان للمسلمين الألمان «دور بارز في إرساء الإسلام تجاوز من بعيد الأدوار المماثلة التي اضططع بها المسلمين في أيّ دولة أوروبية أخرى».^(٣)

(١) للمزيد من التفصيات حول رؤى المستشرق فريتز شتيبات "ذى الشخصية الودودة والأبحاث الموضوعية" حول الإسلام والمسلمين انظر: عبدالرؤوف سُوُّ، الألمان والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، بيروت: دار الفرات، ٢٠٠٧م، ص ٤٩٣ - ٥٢٨.

(٢) انظر: نحو تنظيم موحد للمسلمين في ألمانيا، ص ١١٥ - ١١٧ ، في: فريتس شتيبات، الإسلام شريكًا: دراسات عن الإسلام والمسلمين، مرجع سابق، ٢٠٦م.

(٣) انظر: يورغن نيلسن، المسلمين في أوروباً، مرجع سابق، ص ٥٣ - ٧٦.

يغفل هذا المنحى التاريخ للوجود الإسلامي في الغرب الأوسط [=غرب أوروبا] والغرب الأقصى [=الأمريكتين]؛ تجنبًا للإطالة.^(١) ويقاد من يؤرخون للوجود الإسلامي في أوروبا يجمعون على مسألة ضرورة التنظيم القانوني لوجود المسلمين من خلال الجمعيات والاتحادات وأليات التنسيق النظامية القانونية بين المسلمين، كال المجالس، حيث تتصدر بها الفروقات اللغوية والقومية والتقاليد المحلية للمسلمين، في سبيل الاعتراف بهم من قبل الدول الغربية، ومن ثم تفهم الإسلام المعاصر ومشكلاته.

على أنَّ عالمية الإسلام تجعل تحقيق هذه التنظيمات ليس مستحيلاً، كما يذكر المستشرق الألماني فريتز شتيبات، الذي لا يرى أنَّ في هذه الدعوة تدحلاً في شؤون المسلمين أو دعوة لألمَنة أو أورَبة أو أمْرَكة أو غُربَة التنظيمات الإسلامية المنشودة، بل إنها اقتراحات تأتي من «صديق غير مسلم».^(٢) مع ما يعتري إنشاء تلك التنظيمات من هوا جس الخوف من الإسلام، أو رهاب الإسلام «الإسلاموفوبيا»، التي زادت حدتها في الآونة الأخيرة، بعد أحداث

(١) انظر: محمود يوسف الشواربي، الإسلام في أمريكا/ تقديم شيخ الجامع الأزهر محمود شلتوت، القاهرة: لجنة البيان العربي، ١٩٦٠م، ٢١٨ ص. وانظر أيضًا: إيفون يزيك حداد، المسلمين في أمريكا، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ٣٠٤ ص. وانظر كذلك: محمد عبده يمني، المسلمين السود في أمريكا: القصَّة الكاملة، الرياض: المؤلف، ١٤٢٧هـ، ٤١٤ ص.

(٢) انظر: عبدالرؤوف سُو، الألماَن والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، مرجع سابق، ص ٥٠٢.

يوم الثلاثاء ٢٢/٦/١٤٢٢ هـ الموافق ١١/٩/٢٠٠١ م،^(١) تلك الموجّهة إلى الولايات المتحدة الأميركيّة جهةً، وإلى الغرب عموماً فكرًا.^(٢)

لا عبرة لما تظهر به بعض الصحف الغربيّة المحلّية من إطلاق عبارات استفزازية من بعض الشخصيات السياسيّة المحلّية، في الحملات الانتخابيّة أو نحوها، في بعض الولايات الداخليّة للدول الغربيّة تنصح بالعنصرية والعرقيّة، فهذه لازمة يصعب التخلص منها بسهولة.^(٣) العبرة بالقوانين التي تحفظ لهذه الجماعات حقّها في العيش الهانئ، ويحتمل لها عند نشوء أي سلوك غير حضاري من بعض المتطرّفين، من دون الخروج في الوقت نفسه على القوانين المرعية في الدول الغربيّة وضرورة احترامها والتماشي معها.^(٤)

ويقدّم صلاح عبدالرزاق جملة من الرؤى حول تأثير المفكّرين

(١) يظلُّ في النفس شيء حول من وقف وراء أحداث ١١/٩/٢٠٠١ م رغم التوكيدات المتتالية على قبول الرواية الرسميّة لهذه الأحداث. انظر: زبير سلطان قدوري، الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، دمشق: اتحاد الكتب العربي، ٢٠٠٣ م - ٢٢٣ ص.

(٢) انظر: ستيفان لايثون، الإسلام والمسلمون في أوروبا المعاصرة. ٢٠٠٥ م. (بالفرنسيّة)، نقلًا عن: رضوان السيّد، أوروبا المعاصرة والإسلام، التسامح، ع ١٣ (شتناء ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م)، ص ٣١٥ - ٣٢٦.

(٣) انظر: أحمد يونس، المسلمين الأميركيون: أقسام أنّ أقوال الحق/ ترجمة نشأت جعفر، القاهرة: مكتبة الشروق الدوليّة، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، ص ٤٨ - ٥١.

(٤) انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، مرجع سابق، ص ٢٥٢ - ٢٥٨.



الغربيين المسلمين ، تسهم هذه الرؤى في تحسين الوجود الإسلامي في الغرب ، وتشارك في إيجاد مجتمع إنساني متجانس تجانساً واقعياً ومتلائماً تلاؤماً بعيداً عن المثاليات الطرقية ، بحيث لا يقتصر تأثير هذه الفئة على المجتمع المسلم ، بل إنّهم مطالبون بتقديم ما لديهم من حلول لمواصفات آنية سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية وصحية هي بحاجة إلى الحلول الإسلامية ، من دون النزوع إلى جلد المجتمع الغربي ووصفه بما يصرف عن إمكان التأثير فيه ، ومن دون اتخاذ مواصفات سلبية من ظاهرات غربية تحتاج إلى الإسهام الإيجابي في التصدّي لها من حكماء الأمة الغربية وعلمائها ، المسلمين منهم وغير المسلمين .^(١)

لا ينتظر من هذا التأثير أن يقتصر على البعد السياسي والاقتصادي ، ولكنه تأثير ذو شمولية ، حتى دخل في سلوكيات شخصية واجتماعية ، مثل النظافة واستخدام الماء بتطهير الأبدان من النجاسات من خلال الوضوء والاغتسال ، والحيمية أو الأنماط الغذائية ، كما دخل في الفن والأدب والسلوك العام .^(٢)

يتاتي ذلك التأثير بعوامل عدّة ، تدخل في المفهوم الإسلامي من قوله تعالى : **قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَحِمِّلُكُمْ شَتَّانٌ فَوْمٌ أَنْ صَدُوكُمْ**

(١) انظر : صلاح عبدالرزاق ، المفكرون الغربيون المسلمين : دوافع اعتنائهم بالإسلام ، ٢ ج ، بيروت : دار الهادي ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ٢ : ٢٨٣ - ٤٠٦ .

(٢) انظر : روافد التفكير الثقافي الثلاثة ، ص ٨٢ - ١١٩ ، في : جاك غودي ، أوروبا والإسلام ، مرجع سابق ، ٣٢٣ ص .

عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُواْ وَتَعَاوِنُواْ عَلَى الْبَرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوِنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْمَدْوَنِ وَاتَّقُواَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَرِيدُ الْعِقَابِ» (المائدة: ٢). يأتي هذا التعاون بين المسلمين في الشرق والغرب من منطلق التكامل، وليس من مفهوم بسط الوصاية من قبل مسلمي الشرق على المسلمين في الغرب، فليسوا بحاجة إلى مثل هذه الوصاية.

هكذا يفهم بعض المسلمين في أوروبا وأميركا أنَّ المسلمين في الشرق يرون أنَّهم هم أهل الإسلام، وتاليًا يُقصَر فهم الدين عليهم، بما في ذلك الخلط بين أحكام الإسلام والعادات والتقاليد والثقافات المحلية في بعض المجتمعات المسلمة، وولوج مفهوم فقه الجاليات أو فقه الأقليات أو فقه الواقع،^(١) والخلط كذلك بين ما هو جوهرى من الثوابت في الدين وما هو ليس كذلك من الفروع، ما يقتضي التمييز الدقيق بين هذه وتلك وانتفاء الخلط بينهما، مما يؤثُّر في بيان الحقيقة وفهم الأحكام والتفسيرات وأراء العلماء الأقدمين في جوهر الدين وأصوله.^(٢)

يؤكّد هذا المنحى محمد هوبهوم المسلم الألماني، الذي اعتقد

(١) مصطلح الجاليات الإسلامية غير دقيق، إذ إنَّ المسلمين في الغرب لا يمثلون ظاهرة عابرة، فهم يعُدوُن بالملائين وهم في تزايد، وهناك من يتحفظ على نعت الوجود الإسلامي في الغرب وفي غيره بالأقليات، كما أنَّ هناك تحفظًا على مصطلح "فقه الواقع"، بحيث يتَّهم من ينادي به بأنه عصراني أو تنبوي. انظر: مسعود الخوند، الأقليات المسلمة في العالم: انتشار المسلمين في البلدان غير العربية وغير الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٢) انظر: جفري لانج، ضياع ديني: صرخة المسلمين في الغرب / ترجمة يحيى إبراهيم الشهابي، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٧م، ٤٠٨ ص.

الإسلام سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م وعمره ثلاثة عشر عاماً، من أئمَّةِ الغرب ليس بحاجة ملحة إلى الدعاة من الخارج، ولا إلى التدخل في مفهوم فقه الأقليات أو الجاليات أكثر من الحاجة إلى إقناع صناع القرار في الغرب إلى عدم الوقوف في تنمية المجتمع المسلم في الغرب، وعدم الحيلولة دونه وإقامة شعائره الإسلامية التي لا تتعارض مع النظام العام للدول ودستورها. ولا ينفي هذا المنحى حاجة المسلمين في الغرب إلى دعم إخوانهم في العالم الإسلامي .^(١)

الحق أنَّه يكثر العلماء المسلمين في الشرق، ولكنَّ هذا لا يُلغي وجود علماء المسلمين في الغرب كذلك، يرتكزون على فقه الجاليات في جانبي العبادات والمعاملات التي هم بها أدرى. هذا الوضع يحتم شكلاً من التواصل، بعيداً عن الحساسيات التي لا ترى ضرورة هذا التواصل بين المسلمين في الشرق والغرب، إذ إنَّ انتفاء التواصل يترك المسلمين في الغرب نهباً للأفكار التي تريد أن يكون هناك تصادُم وانفصام بين المسلم ومجتمعه الغربي من جانب وبين المسلمين في الشرق والمسلمين في الغرب من جانب آخر. وقد عالج جفري لانج شيئاً من هذا الهاجس في كتابه الأخير: ضياع ديني: صرخة المسلمين في الغرب.^(٢)

(١) انظر: محمد هوبيهوم، المسلمين في ألمانيا «أيتام»... لكن الإبراهيمية ستنتصر/ مقابلة أجراها أسامة أمين، صحيفة الحياة، ع ١٦٣٨٧ (٢/٨)، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ / ٢ / ١٥، ص. ٧.

(٢) انظر: توضيحات للصراع، ص ٢٨٩ - ٤٠٤، في: جفري لانج، ضياع ديني: صرخة المسلمين في الغرب، مرجع سابق، ٤٠٨ ص.

يأتي من هذه العوامل الإنتاج العلمي في مجال الإسلامية أو العلوم الإسلامية علمًا وفكراً، ما يقتضي التزيد من العلم بالإسلام وعلومه، والعودة إلى المصادر الإسلامية الأولية للتشريع والعلم والفقه، وفي قمّتها القرآن الكريم وسنة المصطفى محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وآله وسليمه وكتب الأمهات في العقيدة والتشريع، مع ضرورة العودة في ذلك إلى العلماء العارفين بتفاصيل هذا الدين القائم على العلم، القادرين على الجمع بين النصوص الشرعية التي قد يتواهم بعض المتعجلين أنها تتناقض أو تتضارب في مدلولاتها، على اعتبار أنَّ هؤلاء العلماء هم ورثة الأنبياء، وعدم الاكتفاء بالفهم الذاتي للمصادر الأولية للإسلام، والابتعاد ما أمكن عن الاجتهادات والtentativas الشخصية، التي قد لا تقوم على قاعدة علمية صلبة،^(١) والعمل على مأسسة الحراك الإسلامي في الغرب عموماً، واستخدام الإمكانيات التقنية المتاحة، ونقل العلوم الإسلامية وترجمتها من اللغة العربية إلى اللغات الغربية الأخرى، والترجمة من اللغات الغربية إلى اللغة العربية،^(٢) ودخول هؤلاء العلماء في

(١) يعمد بعض الذين يعتقدون الإسلام إلى الاستعجال في فهم الإسلام فهم شمولياً، بما في ذلك تفاصيل الفقه في العبادات والمعاملات والعقيدة، فتراهم من ثم يتعجلون في إطلاق أحكام على الإسلام يسيئها الحماس والإخلاص، لكنها لا تقوم على قاعدة علمية راسخة وهي الصواب، وقد تأخذ منحى تشددياً أو عكس ذلك.

(٢) انظر: مصطفى ماهر، الترجمة من الألمانية إلى العربية، ص ٥٩٢ - ٦٢٣ ، في: ألمانيا والعالم العربي: دراسات تتناول العلاقات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه، مرجع سابق، ٦٤٦ ص.

حوارات ومناظرات علمية موضوعية هادئة مع أترابهم علماء الكهنوت ومقارنة الأديان وعلماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء السياسة الغربيين والمستشرقين.^(١)

يقتضي هذا الإجراء الحيوي وجود تنظيمات للاتصال المستمر بين الأطراف المعنية بالتنظيم، وذلك من خلال الجمعيات والاتحادات والاتفاقيات الثنائية والجماعية بين دول الشرق، الدول الإسلامية ومنظوماتها، ودول الغرب واتحاداتها ومؤسساتها المعنية،^(٢) على غرار ما هو متبع في لجان الصداقة الأوروبية العربية التي قد يغلب عليها بعد الاقتصادي فقط.

يكفل هذا التنظيم الانسabiة العلمية والفكرية بين الطرفين على أساس من الرغبة في التركيز على وجوه الاتفاق والتحالف والتعاون والتعارف والتفاهم بين الثقافات، وهي كثيرة.^(٣)

(١) انظر: صلاح عبدالرّاق، المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتنائهم بالإسلام، مرجع سابق، ٢ : ٢٨٣ - ٤٠٦.

(٢) انظر: محمد نمير، المسلمين الأمريكيون وإدارة أوباما، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠١٠م، ٥٩ ص.- (سلسلة محاضرات الإمارات؛ ١٣٥).- وانظر المحاضرة باللغة الإنجليزية: Mohamed Nimer. *American Muslims and the Obama Administration*.- Abu Dhabi: The Emirates Center for strategic Studies and Research, 2010.- 52 p.- (Emirates Lecture Series; 82).

(٣) انظر: الفكر والإيمان، ص ٢٢١ - ٢٢٤ ، في: علي بن إبراهيم النملة، الفكر بين العلم والسلطة: من التصادم إلى التعايش، ط ٢ ، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م، ٢٩٠ ص.

المؤثر الخامس

الاستشراق: المستشرقون الألمان نموذجًا

لا يكاد عمل جاد حول موضوع العلاقة بين الشرق والغرب يخلو من النطُرُق للاستشراق كأحد العوامل المؤثرة في هذه العلاقة والمحددة لها.^(١) وتحفل الأديبُاتُ العربيةُ والمُعرَّبةُ بالدراسات العميقَة عن الاستشراق بفنهُاتهُ ومدارسِهِ ومنطلقاتِهِ، على اعتبار أنَّ الاستشراقَ استشراقاتٌ، وليس استشراقًا واحدًا، ما يمكن أنْ يكون موسوعةً جيدةً في هذا المجال، إذا ما قام أحدُ مراكزِ البحوث العربية أو الغربية في بلد عربي ما أو في الغرب بنشر هذه الإسهامات كتباً ومقالاتً، في عمل واحد، ويتم تحريرها وتعليق عليها، ببيان ما قد اعتبرى بعضها من أخطاء علمية أو منهجية، ومدى تأثيرها في العلاقات بين الشرق والغرب.

إنَّ الإشكالية في الذهنية الغربية الاستشرافية والدينية في علاقتها مع الإسلام، هي أنها عقلية لا تزال تستحضر حروب الفرنجة

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها، مرجع سابق، ٣٥٢ ص، حيث يجعل الباحث الاستشراق أحد المحددات السبع عشرة التي انتقاها للعلاقة بين الشرق والغرب.

«الحروب الصليبية»، كلّما قامت فتنة بين الشرق الإسلامي والغرب، فتُحدّد بموجبها العلاقات المشتركة بين المسلمين والغربيين، كما يقول محمد أسد،^(١) ويوافقه على هذا مراد هوفمان. ففي سيل ترسيخ العداء والكراهيّة أُريد لهذه العلاقة أنْ تقوم على معلومات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين، لنشر الجهل بكل ما هو إسلامي، وحجب المعلومات الصحيحة، ومن ثَمَ نشر معلومات مغلوطة عن المسلمين.^(٢) كما أُريد لهذه العلاقة أنْ تلقي بظلالها، بحيث يبقى صدعٌ بين الشرق والغرب يعود تاريخه إلى الحروب الصليبية التي لا يزال المسلمون يشعرون أنها، إلى اليوم، انتهاك واغتصاب واعتداء، لم يكن له مبرّر في ضوء حماية المسلمين للمقدّسات الدينية وخدمتها، وإطلاق حرّيّة العبادة فيها.^(٣)

المعلوم في تاريخ حروب الفرنجة، كما سماها المسلمون، الصليبية كما سماها الغربيون، أنها اصطحببت معها على امتدادها لمئتي سنة، من سنة ٤٩١ إلى ٦٩٠ هـ الموافق ١٠٨٩ إلى ١٢٩١ المُستشرقين الرحالة الذين كان لهم أثر في تصوير الشرق، إيجاباً أو سلباً، من أمثال الرحالة فوشيه دو شارتر (الشارتر)، وويلبراند

(١) انظر: صلاح عبدالرزاق، *المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتنائهم بالإسلام*، مرجع سابق، ٢: ٢٦٤.

(٢) انظر: مراد هوفمان، *الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود*، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٣) انظر: أمين معرفة، *الحروب الصليبية كما رأها العرب*/ ترجمة عفيف دمشقية، بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٧م، ص ٣٢٨.

الأولدنبورى، وثيتمار، وجيمس الفيتري، وبوركهارد، وبنiamin التطيلي، وغيرهم.

كان هؤلاء المستشرون قد قدّموا صوراً مشرقة عن التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في الحاضر الإسلامية، من دون أن ينسوا محاولات التفرقة العرقية بين المسلمين من أكراد وتركمان وعرب،^(١) ورغم أنَّ بعض الرَّحَالَة المستشرون - ومنهم رَحَالَةُ ألمان - قد تأثَّروا بتلك المدَّة التي غلبتُ عليها الصراعات الحربية، فلم تكن تحمل شيئاً من الود للعرب والإسلام،^(٢) وتزخر بالغيرة على الأرضي المقدَّسة، والخوف عليها من عبث الأيدي المعادية للنصرانية.^(٣)

يُستحضر هنا موقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أثناء زيارته للقدس سنة ١٥ - ١٦هـ وعند دخوله كنيسة القيامة وتنظيفه الصخرة بطرف ردائِه، وكانت اليهود ترمي بها القمامَة، ورفضه

(١) انظر: قاسم عبد قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠، ص ٢٠٠ - ٢٠١، (سلسلة عالم المعرفة ٤؛ ١٤٩).

(٢) لا يظهر الإنصاف في هذه المراجع، ولكن يظهر وصف الواقع الذي كانت عليه العلاقة العلمية والاجتماعية خارج الإطار العربي بين المسلمين وغير المسلمين، بما في ذلك استيطان الصليبيين الوافدين. انظر: مقدمة المترجم لكتاب: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس / ترجمة زياد العسلى، عمان: دار الشرق، ١٩٩٠م، ص ٢٦٧.

(٣) انظر: محمد علي حشيشو، الرَّحَالَةُ الألمانُ إلىِ البَلَادِ الْعَرَبِيَّةِ، ص ٧٩ - ٩٢، في: صلاح الدين المنجد، المستشرون الألمان: ترجمتهم وما أسهموها به في الدراسات العربية، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م، ص ١٩٢.

الصلاحة فيها، رغم سماح البطريرك صفرونيوس له بالصلاحة، ولكنه خشي أن تتحول إلى مسجد، ثم إنه أزال القاذورات عنها بطرف ثوبه، ثم قوله: «يا أهل إيليا؛ لكم ما لنا وعليكم ما علينا». ^(١)

ولا اعتبار لمن يرى أنَّ عمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه لم يصل بالكنيسة؛ لأنَّه لا تجوز الصلاة بالكنيسة عنده، فهذه نظرة - على ما يظهر - لا ترحب بوجود قدر من التفاهم بين المسلمين وغير المسلمين، يقول بكر أبو زيد: «فخلف من بعدهم خلفٌ بان نقصهم في العلم والعمل، وتلامِهم قومٌ انتَموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نَزْرٍ يسير، أو همُوا به بائِّنَهُم عُلَمَاءٌ فضلاء، ولم يدْرُّ في أذهانِهم قُطُّ أَنَّهُم يتقربون به إلى الله؛ لأنَّه ما رأوا شيخاً يقتدي به في العلم، فصاروا همَّجاً رُعاعاً، غَاية المدرَّسٍ منهم أنْ يحصل كُتُباً مثمنة يخزُّنها، وينظر فيها يوماً ما، فيصَّحُّ ما يورده ولا يُقْرِّره، فسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالمٌ ولا رأيتُ عالماً». ^(٢) وعلى أي حال فهذا رأي، لا يُهمِّل إذا قاله قائم على علم بالفقه الإسلامي، وقاله

(١) انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الأمم والمملوک، ١٢ ج، بيروت: دار الفكر، ٤: ١٥٨ - ١٦٢. وانظر أيضاً: الحافظ عباد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، البداية والنهاية / تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركى بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ٢١ مج، القاهرة: دار هجر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ٩: ٦٥٥ - ٦٦٠.

(٢) انظر: بكر أبو زيد، التعلم وأثره على الفكر والكتاب، القاهرة: دار ابن الجوزي، ٦٢٠٠م، ص ٩٣.

عالٌمٌ معتبرٌ من علماء المسلمين. إماً إذا صدر عن مُتعالِمٍ فهو مردود عليه:

يقولون «هذا عندنا غير جائز»

فمن أنتُم حتَّى يصير لكم عِنْدُ؟^(١)

كما تستحضر وصيته رضي الله عنه آخر حياته بأهل الكتاب، «... وأوصيكم بأهل ذمَّتكم فإنهم عهد نبيكم ورثَق عيالكم...». ^(٢) فلا يمكن أن تُعدَّ هذه الأفعال من عبث الأيدي المعادية للنصرانية.

يعني هذا التوكيد على عدم التعميم في مواقف المستشرق الواحد، ناهيك عن المستشرقين عموماً، ففي هذا الجو المشحون بالتحدي والعداوات والكرابية والحروب السجال يظهر مستشرقون الأصلُ فيهم أنَّهم مناصرون لبني قومهم في حملاتهم بفك رهن وعلمهم، وهكذا كانوا، إلا أنَّهم مع هذا لم يستطيعوا إغفال الواقع التعايشي في الحاضر الإسلامية.^(٣)

مع هذا يبقى رهطٌ من المستشرقين عازفين عن هذا الأسلوب

(١) انظر: بكر أبو زيد، التعالَم وأثره على الفكر والكتاب، المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) انظر: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، كتاب تاريخ المدينة المنورة، ٤ مج / حقَّقَهُ فهيم محمد شلتوت، [المدينة المنورة: محمد حبيب أحمد]، د. ت، ٣: ٩٣٧.

(٣) انظر: نورة فرج، ارتباكات الهوية: أسلمة الهوية والاستشراق في الرواية العربية - الفرنكوفونية، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م، ١٦٦ ص.



في طرح القضايا على منحى من صناعة الكراهية بين الثقافات، وتظلُّ رؤاهم ثابتةً لا تؤثِّر فيها الأحداث السياسية المترتبة، ما أوجَد «تيارًا» من المستشرقين المتّهِجمين على المستشرقين ممَّن يزعمون أنَّهم على معرفة بالإسلام أو بالعرب،^(١) وذلك من منطلق النقد الذاتي للاستشراق.

لا بُدَّ من التوكيد على أنَّ هذا الهاجس في الإسهام في صناعة الكراهية بين الثقافات محدودٌ جدًا عند الحديث عن الاستشراق الألماني. والدراسات العربية وغير العربية العديدة التي تناولت نقد الاستشراق أثبتت ذلك بقدر عالٍ من التوافُّر. مما يعني تقوية الصلة بالاستشراق الألماني، دون سيطرة الهاجس التآمري على الإسلام والمسلمين من قبل هؤلاء المستشرقين، وإنْ وجد ذلك عند بعض المستشرقين، وهو احتمال قائم، فإنه يتعامل معه على أنه حال منعزلة لا تتحمل التعميم على الاستشراق الألماني كله.^(٢)

يؤكّد محمد أبو الفضل بدران ذلك بقوله: «إنَّ الاستشراق الألماني يظلُّ بمعزل عن الاستشرادات الأميركيَّة والبريطانية

(١) انظر: سمير قصیر، تعليق/ ترجمة محمد صبح، ص ١٠٧ - ١١٣ ، في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرفان، تأمُّلات في الشرق، مرجع سابق، ١٤٠ ص.

(٢) انظر: أوليرش هارمان، المستشرقون الألمان والعصر الحديث في العالم الإسلامي، ص ٥٢٩ - ٥٤٢ ، في: ألمانيا والعالم العربي: دراسات تتناول العلاقات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه، مرجع سابق، ٦٤٦ ص.

والفرنسية، ويظل له نكنته المميزة حتى لو اختلفنا معه، وإنما لمختلفون، بيد أن هذا الاختلاف يجعلنا نردد مع الشاعر الألماني الكبير جوته: «من عرف نفسه أدرك أنَّ الشرق والغرب لا يفترقان»، وهي مقوله نحن في حاجة إليها الآن بعد مضي قرنين ونصف القرن من رحيل قائلها الذي أراه من كبار المستشرقين الألمان الذين أنصفوا الحضارة الإسلامية وتآثروا بها». ^(١)

يدرك نجيب العقيقي في كتابه «المستشرقون»، أنَّ اتصال الألمان بالشرق يعود إلى الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧ - ١١٤٩م)، عند عودة الزوار (الحجاج) من الأرضي المقدسة في فلسطين، ووصفهم لها ونقلهم عنها شيئاً من حضارتها، وقيام الرهبان بالترجمة عن اللغة العربية بالأندلس، وفيهم الألمان. ^(٢) ويؤيده في ذلك يوهان فوك في «كتابه تاريخ حركة الاستشراق». ^(٣) إلا أنَّ ميشال جحا يعيد العلاقات الألمانية بالشرق إلى القرن العاشر الميلادي، وذلك عندما أرسل الإمبراطور الألماني أوتو كاهنأ يدعى يوحنا سفيراً لدى الخليفة الناصر، وكان ذلك في سنة ٩٥٦م،

(١) انظر: محمد أبو الفضل بدران، الاستشراق الألماني المعاصر، آفاق الثقافة والتراث، ع ٢٢ (٢٣/٦/١٤١٩ - ١٥/١٠/١٩٩٨م)، ص ٥٠ - ٥٧.

(٢) انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ٣ مج، ط ٥، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م، ٢: ٣٤٠ - ٤٨٤.

(٣) انظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تعریب عمر لطفي العالم، دمشق: دار قتبة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ٩٥ - ٩٧.

وأرسل الخليفة الناصر بدوره أحد القساوسة من رعایاه سفیراً عند الإمبراطور الألماني .^(١)

إنَّ هذه الوقفة لا تؤرخ للاستشراق الألماني أو تسعى إلى تقويمه، كما أنها لا تؤرخ للعلاقة بين الاستشراق والاحتلال، بقدر ما تنظر إلى هذا الاستشراق على أنه عاملٌ مهمٌ ومؤثرٌ في مناحي التأثير والتأثير في العلاقة بين الشرق والغرب، مع التركيز على الألمان هنا.^(٢) فقد تأثَّر الاستشراق الألماني بالثقافة الإسلامية أولاً ثم أثَّر فيها تاليًا، كما أنه تأثَّر بالاستشراق الفرنسي أولاً، ثم أثَّر فيه تاليًا.

تستحضر هذه الوقفة مقوله جونتر شودل منذ أكثر من ثلاثة وثلاثين عاماً، عندما وقف أمام جمع من وجهاء الشرق والغرب من العلماء والمدركين بشؤون العلاقات بين الشرق والغرب متَّحدُّثاً عن الارتباطات المتَّنوعة والإخلاص المتبادل بين هاتين المجموعتين الحضاريتين،^(٣) حيث عمد شودل إلى تعريف وجوه تأثير الغربيين،

(١) انظر: ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨١م، ٣٠٧ ص.

(٢) تقدَّمت ألمانيا بقية دول أوروبا في الثورة على الأمية، حيث لم ينته القرن السادس عشر الميلادي إلا وكان أكثر من نصف سُكَان ألمانيا متعلِّمين، بينما استُثرت بريطانيا بالثورة الصناعية من أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، ونحو فرنسا إلى ثورة تحديد النسل في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي. انظر: اختراع أوروبا، ص ١٨٧ - ٢٠٣، في: جورج طرابيشي، هرطقات عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، مرجع سابق، ٢٢٩ ص.

(٣) انظر: جونتر شودل، التبادل الثقافي بين ألمانيا والعالم العربي، =



لا سيما الألمان منهم ثقافياً بالعرب، معيداً البدايات الحقيقة لهذا التأثير بالترجمة المباشرة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية سنة ١٦٩٤م، عندما أصدر قسيس من هامبورج يدعى هيكلمان الطبعة الأولى، فرأيقط هيكلمان اهتمام الغرب بالإسلام والعرب،^(١) وما حصل قبل ذلك من اتصال بين الشرق والغرب، لا سيما في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، فقد كان طابع الاتصال قد سيطرت عليه حروب الفرنجة أو الحروب الصليبية، التي انطلقت بعضها من ألمانيا نفسها، وقد كان يخضع لرقابة شديدة من قبل الكنيسة. «ولم تظهر أبحاث الاستشراق الحرّة إلا من خلال التغييرات الفكرية التي رافقت القرنين الخامس عشر والسادس عشر».^(٢)

قبل ذلك انطلقت العلاقة بين الألمان والمسلمين استشرافيًا في

ص ١٠٣ - ١١٣، والنصل من ص ١٠٣ ، في: مصطفى ماهر، معد، حوار بين الألمان والعرب: سجل الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في (توبينجن) عام ١٩٧٤م، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ٣٠٦ ص.

(١) انظر: جونتر شودل، التبادل الثقافي بين ألمانيا والعالم العربي، ص ١٠٣ - ١١٣ ، في: مصطفى ماهر، معد، حوار بين الألمان والعرب: سجل الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في (توبينجن) عام ١٩٧٤م، المرجع السابق، ٣٠٦ ص.

(٢) انظر: جونتر شودل، التبادل الثقافي بين ألمانيا والعالم العربي، ص ١٠٣ - ١١٣ ، والنصل من ص ١٠٤ ، في: مصطفى ماهر، معد، حوار بين الألمان والعرب: سجل الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في (توبينجن) عام ١٩٧٤م، المرجع السابق، ٣٠٦ ص.

القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي عندما تحمّس بعض المستشرقين الألمان وسعوا إلى تعليم اللغة العربية (ياكوب كريسمان ١٥٥٤ - ١٦١٣م) بتأليف نبذة مختصرة لفن الخط العربي. ثمّ عمدوها إلى ترجمة مخطوطات عربية في الفلك والطب، مباشرةً أو عن اللغة العربية إلى الألمانية، مثل كتب الفرغاني وأبي الفداء وأبي الحسومي ومختصر الماجستي في الفلك لبطليموس.

تذكر المفكرة الألمانية المنصفة للإسلام والمسلمين أنَّ «لقاءات العرب والألمان كانت على مدى اثني عشر قرناً من الزمان متميزةً ومتأثرةً بشكل فريد من أشكال المشاركة الوجدانية ومشاعر الاستلطاف والود». وما ذلك قطعاً دونما سبب. فإننا في الحقيقة نجد في طبيعة كلِّ من العرب والألمان بعض السجايا والسمات المشابهة، منذ العصور الوثنية وقبل أول لقاء بينهما بزمن طويل؛ فالرغم من الفروق العرقية لا يخفى هذا الانسجام الفريد وذلك الارتباط النادر الذي لا وجود له البُتَّة في العلاقات بين الشعوب الأخرى».^(١)

وتضيف زيفريد هونكه القول: «ولا تزال هذه السمات قائمة حتى الآن، ودون أنْ تطمس أو تنكر التراكيب العرقية والسلوك وأساليب الإدراك والوعي لدى كلِّ من هذين الشعبين، فإننا نرى بالتأكيد أنَّ كلاًّهما قد طوَّر انطلاقاً من خالص طبيعته ودون آية

(١) انظر: زيفريد هونكه، التوجُّه الأوروبي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محظوظ، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

مسالك مشتركة، بعض المفاهيم والنماذج السلوكية المتشابهة التي لا تتمتّع بها كُلُّ شعوب أوروبا ولا كُلُّ شعوب المشرق، ناهيك عن أن تكون سماتٍ عاليَّةً أو إنسانيةً عامَّةً». (١)

المراجع للأدبيات العربية التي تناولت نقد الاستشراق الألماني يجد التفاوت في الحكم عليه - إيجاباً أو سلباً - فالكتابات ذات الصبغة الإسلامية ترى أنَّ موقف الاستشراق الألماني من الخلافة العثمانية لم يكن إيجابياً، لا سيَّما في القرن التاسع عشر الميلادي، وانخراط السياسة الألمانية في المسألة الشرقية، وموقفها من فلسطين ولبنان، وإنْ سعت ألمانيا في القرن العشرين إلى توظيف الإسلام في جلب دعم المسلمين، وإعلان الخليفة الجهاد ضدَّ أعدائها.

أمَّا الكتابات ذات التزعع القومية فقد وظفت موقف الألمان من المسألة الشرقية والخلافة العثمانية لمصلحتها، وتناست موقف الألمان من فلسطين ولبنان، حينما كان فكرها يدعو إلى الاستقلال عن الخلافة العثمانية إلى درجة أنْ يعدها بعضهم شكلاً من أشكال الاحتلال. (٢)

(١) انظر: زيفريد هونكه، *التوجُّه الأوروبي إلى العرب والإسلام* حقيقة قادمة وقدر محظوم، المرجع السابق، ص ٢٨٥.

(٢) للمزيد من التفصيلات حول علاقة الألمان بالعرب والمسلمين في القرنين التاسع عشر والعشرين انظر البحث المستفيض والموثق لعبدالرؤوف سُوُّ، *الألمان والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين*، مرجع سابق، ٦١١ ص.

يقول محمد أبو الفضل بدران في معرض حديثه عن الاستشراق الألماني المعاصر: «من السذاجة أن أقول: إنَّ الاستشراق الألماني المعاصر محايد أو مع العرب والمسلمين في قضيائهم، وليس ذلك لمصلحة العرب ولا المسلمين؛ لأننا في حاجة إلى من ينقدنا بمنهج علمي قد تتفق معه أو تختلف، لكننا في حاجة إليه، حتى نرى كيف يرانا الآخر لا كما نرى ذواتنا من منظار تضخيم الذات وإعلائها، أو التقليل من شأنها». ^(١)

يضيف محمد أبو الفضل بدران القول: «ومن هنا فإنَّ بعض المستشرقين الألمان ضدَّ العرب والمسلمين، وضدَّ المنطق أحياناً، إلا أنها في حاجة إلى هؤلاء وأولئك حتى نعرف موطن أقدامنا في عالم معاصر متغِّير يسُبح فوق بحار الكونية والعالمة وتحتفي فيه المساحات والرؤى الأحادية. وحتى نكشف هؤلاء الذين يسيئون إلينا وإلى ترايانا ودينانا ينبغي علينا قراءتهم ومن ثمَّ نقد ما يكتبون بغية الوصول إلى الحقيقة». ^(٢)

مما يؤيِّد تناهي الاستشراق مؤثِّراً من مؤثِّرات العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب بروز جمعية مستشرقين ألمانية (DAVO) Deutsche Arbeitsgemeinschaft Vorderer Orient fuer gegenwartsbezogene Forschung und Dokument

(١) انظر: محمد أبو الفضل بدران، الاستشراق الألماني المعاصر، آفاق الثقافة والتراث، مرجع سابق، ص ٥٠ - ٥٧.

(٢) انظر: محمد أبو الفضل بدران، الاستشراق الألماني المعاصر، آفاق الثقافة والتراث، المرجع السابق، ص ٥٠ - ٥٧.



المستشرقون الشباب سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م في هامبورغ على يد المستشرق أودو شتاينباخ في ذلك العام، وتعني «دافو» بالقضايا المعاصرة للإسلام والمسلمين، في مزاحمة منها لجمعية المستشرقين الألمان (DMG) العريقة التي تأسست سنة ١٨٤٥م.^(١)

هذه ميزة من ميزات الاستشراق الألماني تؤيد الدعوة إلى استمرار الدراسات الاستشرافية العلمية، مهما اعتبرها من هنات علمية ومنهجية لا بدّ من تفهمها مع ردها وعدم الموافقة عليها من علماء الإسلام، فهذا المجال من الدراسات لا يخلو من الهفوات؛ نظراً لأنَّ المستشرقين لا يتمون للثقافة التي يدرسونها، فضلاً عن افتقار بعضهم إلى إجاده اللغة العربية التي جاءت بها الثقافة الإسلامية، وكذلك اتكاء بعض المستشرقين المتأخرین على إسهامات أساتذتهم من المستشرقين السابقين الذين لم يكونوا بالضرورة على انسجام مع الثقافة الإسلامية.

ومما يميّز الاستشراق الألماني - كذلك - القول تواتراً بأنه لم يخضع كما خضعت الاستشرفات الأخرى لغايات سياسية أو احتلالية أو دينية، ولم تكن الدراسات متّصفة بروح عدائية، رغم وجود مستشرقين أتوا بآراء خطأة تماماً، مثل آراء تيودور نولدكه

(١) انظر: محمد أبو الفضل بدران، العرب وألمانيا ودور المستشرقين الألمان الثقافي والنقدي، ص ١٤٤٥ - ١٤٦٥، في: المؤتمر الدولي : مناهج التجديد في العلوم الإسلامية، المنيا: جامعة المنيا، كلية دار العلوم، ٢٤ - ٢٦ محرم ١٤٢٦هـ الموافق ٥ - ٧ مارس ٢٠٠٥م، المنيا: الجامعة، الكلية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ١٨٣١ ص.



(١٨٣٦ - ١٩٣٠م) عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم،^(١) ومثل اثنكاء بعض طلائع المستشرقين الألمان على الاستشراق الفرنسي ممثلاً في سلفستر دي ساسي (١٧٥٨ - ١٨٣٨م)،^(٢) ولكنها، على رأي صلاح الدين المنجد، آراء معدودة.^(٣) هذا مع غلبة الروح العلمية والموضوعية في تقصي الحقائق والاهتمام بالقديم والتركيز على دراسة التراث العلمي والفنى العربى الإسلامى.^(٤)

من المؤيدات لهذا الطرح التنبئ إلى أن كتابات إدوارد سعيد المشتهرة حول الاستشراق والإمبريالية لم تكن سلبية مع الاستشراق الألماني، لعدم نزوع هذا الاستشراق إلى مجارة الإمبريالية. «في تناول إدوارد سعيد للاستشراق أغلق - عن عمد - الاستشراق الألماني، وربما كان عامل اللغة حائلاً بينه وبين تناول المستشرقين الألمان، وقد جاءت بعض الدراسات التي تناولت الاستشراق

(١) يرى رضوان السيد أنَّ الزَّمْنَ قد تجاوزَ جُهُودَ نُولِدِكَهُ وَمَعَوْنِيهِ لِتَرْجِمَةِ معاني القرآن الكريم. انظر: رضوان السيد، الاستشراق الألماني مرةً أخرى: ترجمة عربية لكتاب نولدكه عن القرآن، التسامح، ع ٨ (خريف ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م)، ص ٢٨٠ - ٢٩٠.

(٢) انظر: أحمد حسن عبد السلام، تاريخ الاستشراق الألماني، الفكر العربي، مع ع ٣١ (كانون الثاني / يناير - آذار (مارس) ١٩٨٣م)، ص ١٨٨ - ٢٠٢.

(٣) انظر: صلاح الدين المنجد، الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله، ص ٨٠ - ٨٨، في: مصطفى ماهر، معد، حوار بين الألمان والعرب: سجل الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في (توبينجن) عام ١٩٧٤م، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

(٤) انظر: ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروباً، مرجع سابق، ص ٣٠٧.

الألماني أبحاثاً جادةً ومفيدة، أقت بعض الضوء على بعضهم، إلا أننا نفتقد دراسة جادة تتناول الاستشراق الألماني ككل لما يحتلُّه هذا الاتجاه من أهمية بالنسبة لنا نحن؛ إذ إننا - نحن - موضوع الاستشراق تراثاً وتاريخاً وواقعاً واستشرافاً، وسواء علينا وافقنا على نتائجهم أم اختلفنا حيالها فلن يقلل من أهميتها، ومن ثمَّ دراستها ونقدتها^(١). إلا أنَّ ألكساندر هريدي يخطئ إدوارد سعيد في هذا المنحى^(٢).

وتؤيِّده خيرية حسن سفيرة جمهورية مصر العربية السابقة في ألمانيا بقولها: «ولألمانيا تاريخ طويل مع العالم الإسلامي، فقد شاركت في الحملات الصليبية على الشام والقدس، وجرت مراسلات تاريخية ومكتبات بين صلاح الدين الأيوبي والإمبراطور الألماني، ثم ما لبثت القبائل التركية في التجمع على حدود أوروباً الشرقية، وسرعان ما تأسست الدولة العثمانية التي كانت تجاور ألمانيا جغرافياً، الأمر الذي أدى إلى الكثير من التواصل والكثير من

(١) انظر: محمد أبو الفضل بدران، الاستشراق الألماني المعاصر، آفاق الثقافة والتراث، مرجع سابق، ص ٥٠ - ٥٧.

(٢) انظر: هرمان هورستكوت، المستشرق الألماني كارل هايبريش بيكر والاستشراق الألماني: وداعاً أيها الشرق! / ترجمة رائد الباش، في: قنطرة: حوار مع العالم الإسلامي، أو تأسيس علوم الدراسات الإسلامية الألمانية من خلال كارل هايبريش بيكر (١٨٧٨ - ١٩٣٣)؛ صدر هذا الكتاب عن دار نشر أرغون، ضمن سلسلة أخبار عن تاريخ المجتمع والحضارة في العالم الإسلامي، المجلد ١٩، فورتسبرغ، م. ٢٠٠٥.

سوء الفهم أيضاً، لكن الأمر أخذ بعدها مختلطاً مع نهايات القرن الثامن عشر؛ حيث نشط الاهتمام بالشرق من الناحية الدينية والثقافية، وانتشر المستشركون في بلاد الإسلام محاولين التعرّف عليه». ^(١)

من المؤيدات لعمق الاستشراق الألماني، وتاليًا عمق تأثيره، أنه هوجم من أطراف شتى إبان حرب الخليج الثانية (غزو حزب البعث العراق للكويت في ١١/١/١٤١١هـ الموافق ٢/٨/١٩٩٠ - ١٩٩١م) لأنَّ المستشرقيين الألمان اقتصرُوا في خطابِهم على الوسط الأكاديمي، ولم يكن لهم ظهور إعلامي يذكر للتعليق الصحفِي السريع وغير المتأني على تلك الأحداث. ^(٢)

واقع الحال أنَّ هناك فئةً معتبرةً من المستشرقيين كانت لهم جهود واضحة في صناعة الوئام بين الثقافات، وكانوا وسائط لتعريف الغرب بالثقافة الإسلامية تحديداً، من خلال الدراسات والبحوث والترجمة والنقل وحفظ التراث العربي الإسلامي وفهرسته وتصنيفه وترميم المعطوب منه. ولا ينبغي التغاضي عن هذه الجهود الواضحة، كما أنَّه لا ينبغي الالتفاف على هذه الجهود والحطُّ من

(١) انظر: خيرية حسن، العرب وألمانيا من الحروب الصليبية إلى حوار الحضارات، النور، ع ١٦١ ٢٠٠٧ / ٤ / ٢٠٠٧م.

(٢) انظر: ألبرشت متسك، الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية، غوتينغن: لاموف، ٢٠٠٠م، نقلًا عن الموقع: www.arabiyat.com/forums/ - ١٤٣٠هـ - ٢٠١٩ - ١٥ / ٨ / showthread.php?s=&threadid=12319 .

قدرها،^(١) والزعم بأنّها لم تكن صادرة عن قصد نبيل، والزعم كذلك بأنّ ما قام به المستشركون من جهود موضوعية كان لخدمة أغراضهم الأخرى فحسب.^(٢) وإنْ تكن هذه الفتنة من المستشرقين قليلة، إلا أنّ تأثيرها كان قويّاً.

ظهرت جهود ومحاولات جادة للنظر للإسلام نظرةً أكثر تحرّراً وأقلّ تحيّزاً مما جرت عليه العادة في القرون الماضية، «ومع ذلك لا ينبغي أن ننسى أنّ هذه النظرة لم تصبّ اتجاهًا عاماً، بل ظلّت مقتصرة على أفراد معدودين استطاعوا أن يرتفعوا بأنفسهم إلى موقف منصف وعادل. فالقلة النادرة من المفكّرين والكتاب الناطقين بلسان العصر هم الذين يستطيع المرء أن يقول عنهم إنّهم كانوا يسعون إلى التغلب على ضيق أفق أبناء جلدتهم، ويحاولون تنوير عقولهم بغية الارتقاء بالمعتقدات وتهذيب أساليب التفكير. وفي مقابل ذلك ظلّت الغالية العظمى من أبناء ذلك العصر - إنّ كانوا قد شغلو أنفسهم يوماً بالإسلام - على مواقفهم المفتقرة إلى الفهم والتقدير والتعاطف والتسامح».^(٣)

هذا ما جعل الباحث محمد روحي فيصل (١٩٦٩ - ١٩١٢م)

(١) انظر: السيد مُحَمَّد الشاهد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرین، الاجتہاد، ع ٢٢ (شتاء العام ١٤١٤ھ/١٩٩٤م)، ص ١٩١ - ٢١١.

(٢) انظر: يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ھ/٢٠٠٤م، ص ٥٥ - ٦١.

(٣) انظر: كاثارينا مومن، جوته والعالم العربي، مرجع سابق، ص ١٨٣.



يرد على طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م) في ادعائه نزاهة الاستشراق الفرنسي وكثرة الباحثين فيه بقوله: «ليس صحيحاً أنَّ الاستشراق الفرنسي يقع في الدرجة العليا، بل الصحيح أنَّ الاستشراق الألماني هو الذي يأتي في طليعة الاستشراق الأوروبي، فدراسات المستشرقين الألمان أعمق وأخصب وأنزه من كُلِّ الدراسات التي تناولت بالبحث شؤون العرب والإسلام والشرق، أungan على ذلك سبب واحد - فيما أرى - هو أنَّ ألمانيا لم تكن في يوم من الأيام مستعمرة لبلد من البلدان الإسلامية». ^(١)

ومن منطلق كبح الحماس للاستشراق الألماني وتسويغ هناته قد يقال إنْ وجد هاجس الاحتلال هذا في تحديد مسار الاستشراق الألماني، فقد تميَّض عنه نفع للتراث المخدوم. يقول مُحَمَّد عوني عبدالرؤوف، وهو يترجم للمستشرق الألماني الشاعر فريدرش ريكرت: «واهتمَّ المستشرقون الإنجليز آنذاك أيضًا بعد احتلال كُلُّكتَا عام ١٧٥٧ بعلوم الاستشراق اهتمامًا كبيرًا، فنشطت حركة الترجمة وحركة تحقيق النصوص الإسلامية والهنديَّة القديمة، كي يعرف رجالُ الإدارة الإنجليزية طبيعةَ الشعب الذي يحكمونه وعقليته». ^(٢)

ويخلُص صلاح الدين المنجد ميزات الاستشراق الألماني

(١) انظر: عيسى فتوح، محمد روحي فيصل الناقد المثقف (١٩٦٩ - ١٩١٢)، جريدة البعث، ع ١١٣١٧٨، ٦/٢٧/٢٠٠٧م.

(٢) انظر: مُحَمَّد عوني عبدالرؤوف، فريدرش ريكرت: عاشق الأدب العربي، ط ٢، بيروت: مكتبة الآداب، ٢٠٠٦م، ص ٢٠.

الإيجابية - مقارنة بالاستشراق الأوروبي والغربي عموماً - بالمزايا الآتية:

- ١ - أنه لم يخضع لغایات سياسية أو احتلالية أو دينية طاغية عليه، وهو أميل إلى الاستشراق «التقليدي». ^(١)
- ٢ - ومن ثم لم تتصف دراسات المستشرقين الألمان، على الأغلب، بروح عدائية. ^(٢)
- ٣ - أن المستشرقين الألمان لم يطرقوا أبواب التنصير، ولذلك «نجا مستشرقوهم من العبث بالتاريخ الإسلامي». ^(٣)
- ٤ - الإيغال في البحث، والتغلغل بين مجاهله، وارتياض أقصى حدوده على شكل من التدقيق. ^(٤)
- ٥ - غلت على الاستشراق الألماني الروح العلمية، التي تأسّم بال الموضوعية والتجرُّد والإنصاف.

(١) انظر: محسن جاسم الموسوي، الاستشراق السياسي: فرضياته واستنتاجاته، الاستشراق، ع ٣ (١٩٨٩)، ص ٤ - ١٣.

(٢) انظر: صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢، ص ٧ - ٨.

(٣) انظر: محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق: أهدافه ووسائله، مرجع سابق، ص ٧٤ - ٨١. وينفي المؤلف هذه الميزة لأن للألمان جمعيات تنصيرية، وكون المستشرقين الألمان الأوائل تلمنوا على مستشرقين فرنسيين، لا سيما دي ساسي.

(٤) انظر: أحمد سمايلوشقش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٣.



- ٦ - امتاز الاستشراق الألماني بالعمق في البحث والشمولية والإحاطة في الدراسة والتحقيق.^(١)
- ٧ - وقف الاستشراق الألماني - في بداياته - جهدًا على دراسة التوراة واللغة العبرية، لتكون مدخلاً لفهم الإسلام واللغة العربية.^(٢)
- ٨ - ركز الاستشراق الألماني على الدراسات الشرقية القديمة، والحقيقة الإسلامية، واهتمَّ كثيراً بالأثار والأدب والفن والمخطوطات نشرًا وتحقيقًا.^(٣)
- ٩ - ومن ثمَّ كان الاستشراق الألماني حريصاً على أصالة المستشرق الألماني، محافظاً على صفات الباحث العالم.^(٤)
- ١٠ - أنَّ الاستشراق الألماني - كما تأثر بالاستشراق الفرنسي والبريطاني - أثرَ هو نفسه بالاستشراق الروسي والمجري،^(٥)

(١) انظر: ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا في القرن العشرين، الاستشراق، ع ٣ (١٩٨٩)، ص ١٠١ - ١١٢.

(٢) انظر: سامي سالم الحاج، الظاهرة الاستشرافية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ٤٤ - ط ٣، طرابلس: الجامعة المفتوحة، ١٩٩٧، م ١٥٥ : ١٦٣ - ١٦٣.

(٣) انظر: محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق: أهدافه ووسائله، مرجع سابق، ص ٧٤ - ٨١.

(٤) انظر: ميشال جحا، مستعربان ألمانيان بارزان: هلموت ريتز ورودي بارت، الاستشراق، ع ٣ (١٩٨٩)، ص ١١٣ - ١١٣.

(٥) انظر: وزارة الخارجية المجرية، الطريق من الشرق إلى المجر: ولادة الدراسات الشرقية - المجرية وإنجازاتها، تقرير صادر عن وزارة الخارجية المجرية/ ترجمة: نعيم سعد الغول، راجعه بالعربية وعلق عليه: عبد الرحمن بن محمد بن عمر العقيل، الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٧٦.



والبلغاري، وغيرها من المدارس الاستشرافية التي تلمندت على مستشرقين ألمان،^(١)

١١ - وكما تلمند المستشرقون الآخرون على المستشرقين الألمان، كانت اللغة الألمانية هي أم اللغات الأخرى في هذا المجال، وتکاد اللغات الأخرى تكون عالة على اللغة الألمانية، مباشرة، أو عن طريق اللغات التي أخذت منها.^(٢)

يؤيد هذا الحكم كثير من الذين درسوا الاستشراق من أمثال يوسف أسعد داغر،^(٣) ومحمد علي حشيشو،^(٤) وأحمد سمايلوفتش، ومحمد فتح الله الزيادي، الذي يذكر ستة عشر ملمحًا من ملامح الاستشراق الألماني. هي على الإجمال كالتالي:

١ - اتصف المستشرقين الألمان بالتفاني في العمل، والصبر والمثابرة.

٢ - الاهتمام بالقديم من نشر للتراث الإسلامي بصورة مكثفة،

(١) انظر: عبدالرحيم العطاوي، الاستشراق الروسي : مدخل إلى تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في روسيا، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م، ص ٩٨ - ٧٣.

(٢) انظر: صلاح الدين المنجد، الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله، الهلال مج ٨٢، ع ١١ (١٣٩٤/١٠ - ١٩٧٤/١١)، ص ٢٢ - ٢٧.

(٣) انظر: يوسف أحمد داغر، نقلًا عن أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

(٤) انظر: محمد علي حشيشو، نقلًا عن أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المراجع السابق، ص ٢٢٣.

- ٣ - تأخرت بدايات الاستشراق الألماني، مقارنة بالاستشراق الفرنسي والبريطاني.
- ٤ - الاهتمام بنشر المخطوطات وتحقيقها.
- ٥ - الاهتمام بفهرسة المخطوطات العربية الإسلامية.
- ٦ - الاهتمام الواضح بوضع المعاجم العربية، والعربية - اللاتينية، والعربية - الألمانية.
- ٧ - التدريس في الجامعات العربية والإسلامية، لا سيما في مصر.
- ٨ - عضوية المستشرقين الألمان في المجتمع العربية والعلمية في كل من مصر والشام.
- ٩ - الاهتمام بالأثار والتنقيب عنها، وإنشاء المعاهد الخاصة بذلك في البلاد العربية.
- ١٠ - اتسم المستشرقون الألمان - لا سيما القدماء منهم - بالحماسة الذاتية، فتحملوا بذلك نشر إنتاجهم، لا سيما منهم من اتهم بالإنصاف، ومتى كان الإنفاق تهمةً تقضي صاحبها من صفوف الطلائع الذين كان لهم قصب السبق في الإسهام في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب، ولاقوا من ذلك عتناً كبيراً مثل المستشرق الألماني يوهان يعقوب رايسلكه،^(١) الذي لم يسلم من اتهامه بالزندقة أو

(١) انظر: شوقي أبو خليل، كارل بروكلمان في الميزان، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ص ٥ - ٦.

الهرطقة؛ بسبب من منهجه الإيجابي مع التراث العربي الإسلامي.^(١)

١١ - يكاد يكون جمُّ منهم عالَةً على المستشرق الفرنسي دي ساسي، وقد ترك هذا طابعه الديني عليهم.

١٢ - غلب على الاستشراق الألماني التركيز على الدراسات اللغوية والأدبية منذ القرن السادس عشر الميلادي (١٥٣٨)^(٢) حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي،

١٣ - هناك شبه تحوُّل إلى الدراسات الإسلامية منذ القرن التاسع عشر الميلادي،

١٤ - كان الاستشراق الألماني مرَّكزاً بوضوح على البلاد العربية والدين الإسلامي.

على أنَّ هناك رأياً ذا ثقل يقلل الباحث في الاستشراق عموماً والاستشراق الألماني خصوصاً، والعلاقات بين الشرق والغرب هو الأستاذ الدكتور رضوان السيد يؤكِّد أنَّ «ما كان الاستشراق الألماني أو غير الألماني قنَّةً رئيسية في التعريف بالعرب والإسلام، أو التواصل بين الغرب والشرق». ^(٣) ولا يبرئ الأستاذ الدكتور رضوان

(١) انظر: شوقي أبو خليل، الحوار دائمًا وحوار مع مستشرق، ط ٣، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦م، ص ١٢٧.

(٢) انظر: إسماعيل أحمد عماد، بحوث في الاستشراق واللغة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٢٩٣ - ٣٦٤.(الفصل الرابع: الفصحى في الدرس اللغوي وكتب تعليم العربية عند المستشرقين الألمان).

(٣) انظر: رضوان السيد، تأثيرات المستشرقين الألمان في البحث الأكademie العربية، التسامح، ع ٨ (خريف ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٢٤٥ - ٢٥٢.



السيد الاستشراق الألماني من الميول الاحتلالية. ويبيّن ذلك بعدد من الحوادث قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) وبعدها، لا سيّما مع محاولات ألمانيا احتلال بعض الأراضي الأفريقية.

ومع هذا يعود الأستاذ الدكتور رضوان السيد إلى القول بأنَّ المستشرقين الألمان لم يُظهروا انسجاماً مع القادة العسكريين والسياسيين. فالنازية لم تكن تحترم الثقافات والشعوب الأخرى، بما فيها شعوب منطقة الشرق الأوسط. ورودي بارت (١٩٠١ - ١٩٨٢م) رافق قائد الألمان رومل (١٨٩١ - ١٩٤٤م) في معركة العلمين (٢٣/١١ - ٤/١١/١٩٤٢م) غرب مصر أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) مترجمًا في شمال أفريقيا، لكنه لم يستطع خدمة القائد العسكري؛ لأنَّه لم يكن يجيد اللهجة البدوية بأرض مصر، بالإضافة إلى أنَّ الحزب الاشتراكي الألماني (النازية) بقيادة أدolf هتلر لم يكن يغير الشعوب العربية والإسلامية - مع شعوب وأعراق أخرى - اهتماماً يدعو إلى احتلال أراضيها أو جعلها جزءاً من الأطماع الألمانية النازية.^(١)

هذا في مقابل إنشاء معاهد ومؤسسات استشرافية في الدول الغربية الأخرى، وإدارتها ورئاسة الأقسام فيها من قبل مستشرقين لهم باعٌ معروف في الدراسات الاستشرافية، كما لهم باع غير مُبرز

(١) انظر: رضوان السيد، المستشرقون الألمان: التشوه والتأثير والمصائر، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧، ص ٣٥ - ٣٦.

في خدمة الاحتلال والسياسة، مثل هاملتون جب (١٨٩٥ - ١٩٧١) الذي رئس قسم الشرق الأوسط في المعهد الملكي للشؤون الدولية Royal Institute for International Affairs ، الذي تعاون عن قرب مع وزارة الخارجية Foreign Officejabcerc .^(١)

يقابله على الجانب الفرنسي المستشرق سلفستر دو ساسي (١٧٥٨ - ١٨٣٨) الذي رأس الجمعية الآسيوية التي أنشئت سنة ١٨٨٢م، وعمل على تدريس الترجمة، وتعاون مع وزارتي الخارجية والحربيّة الفرنسية، وهو الذي ترجم «الإعلان العام» للجزائريين عندما احتلَّ الفرنسيون مدينة الجزائر عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م.^(٢)

وقد «كان المستشرون الفرنسيون يدرّسون الشرق في إطار من الاكتشاف السياسي ومن الاكتشاف الاقتصادي للعالم العربي». ^(٣) حتى قيل إن استشراق القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي هو استشراق الاحتلال، «فوضع المستشرون علمهم في عقدي الثلاثينات والأربعينات في القرن العشرين في خدمة سياسة الهيمنة، وأدى ذلك إلى الاحتلال شبه التام في ميزان العلاقات بين المجتمعات الغربية الرأسمالية والمجتمعات الشرقية». ^(٤) والأمثلة

(١) انظر: زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، مرجع سابق، ص ٢١٦.

(٢) انظر: إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عتاني، القاهرة: رؤية، ٢٠٠٦م، ص ٢١٣.

(٣) انظر: وائل غالى، ما بعد الاستشراق، مرجع سابق، ١: ١١.

(٤) انظر: وائل غالى، ما بعد الاستشراق، المراجع السابق، ١: ١١.

على تعاون الاستشراق مع الاحتلال لا تقتصر على هذين النموذجين.

لا يزال الاستشراق الألماني العميق يتأثر ويؤثر، رغم ما قد يقال من أنه أصبح أثراً من الماضي، بفعل قلة البعثات العربية إلى ألمانيا، وندرة الملمّين باللغة الألمانية، ومن ثم ندرة الترجمات عن الألمانية، الناتجة عن ندرة من يجيدون اللغة الألمانية من العلماء العرب إلى عهد قريب،^(١) والتوجّه بالتالي إلى الاستشراق الفرنسي والإنجليزي في مجال الدراسات الجديدة عن «كلاسيكيات» العلوم الإسلامية، فلم يبق من الاستشراق الألماني سوى المعهد الألماني بيروت الذي ينشر بالعربية والألمانية والإنجليزية، ومعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت الذي يديره الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين، والذي يعيد نشر المخطوطات ويصدر دورية علمية،^(٢) ومجلة فكر وفن التي تعرّف بالتراثات الألمانية عن

(١) انظر: جميل مطر، الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة، ص ٢٦٣ - ٢٨٧، في: بحث قرني وأخرين، صناعة الكراهية في العلاقات العربية والأمريكية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م، ص ٤٠٦.

(٢) في ضوء التعريف الإجرائي للاستشراق لا يُعدُّ الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين من المستشرقين كما يؤكّد عمر فُروخ برغم نظرة ميشال جحا في تصنيف سزكين بأنه مستشرق رغم كونه مسلماً. وحجّة ميشال جحا أنه «متى كان الدين عاملاً يدخل في الأعمال الأكاديمية والإبداعية». انظر: ميشال جحا، موقف الدكتور عمر فُروخ من الاستشراق والمستشرقين، ص ٨١ - ٩٠، والنصلٌ من ٨٩ في: الاستشراق، ع ٤ (شباط ١٩٩٠م)، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م، ٢٢١ + ٣٩ ص. وأعيد نشر هذا البحث بعنوان: عمر فُروخ والاستشراق، الاجتهداع ٢٥ (خريف عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ١٣١ - ١٥١، والنصلٌ من ص ١٥٠ - ١٥١.

العرب والإسلام والشرق، على رأي رضوان السيد.^(١) هذا الرأي قد لا يؤيده رهطٌ من المستشرقين الألمان المعاصرين العاملين في كبريات الجامعات والمعاهد العليا التي تُعنى بالاستشراق التقليدي، الذي يَتَسَمُ بالعمق في البحث والتحليل.

لا يغفل مؤرخو الاستشراق الألماني جهود ألبرت الكبير (١١٩٣ - ١٢٨٠ م) وج. ج. رايسلكه (١٧١٦ - ١٧٧٤ م)،^(٢) الذي يُعدُّ «أول مستشرق ألماني جدير بالذكر في عصر مشغول عن العربية بالتوراة».^(٣)

وفي المرحلة الثانية سعى بعض الرهبان إلى ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية «كي ينهل سكانه من (الدين الحق) ولি�صدقوا بنور الإنجيل الصادق». ^(٤) الواضح أنَّ الدافع لهذه الترجمة كان تنصيريًّا.

لم يستطع كثير من الباحثين في الشأن الاستشرافي من الشرقيين والغربيين على حد سواء الانتهاء من تأثير الاستشراق في الاحتلال

(١) انظر: رضوان السيد، تأثيرات المستشرقين الألمان في البحوث الأكademie العربية، التسامح، مرجع سابق، ص ٢٤٥ - ٢٥٢.

(٢) انظر: يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقي، مرجع سابق، ص ٥٥ - ٦١.

(٣) انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ٢ : ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٤) انظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين/ نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم، ط ٢، ٢٠٠١ م، ص ٥٥ - ٥٧.



وتأثير الاحتلال في الاستشراق، فقد خدم الاستشراق الاحتلال كما خدم الاحتلال الاستشراق.^(١) يوضح زكاري لوكمان أنَّ الاستشراق كمشروع فكري كان مرتبطاً بطرق مهمة بالاستعمار الأوروبي المعاصر، وأنَّ نوع المعرفة الذي كان الاستشراق كفرع بحثي يميل لإنتاجه قد استعمل كثيراً لإضفاء الشرعية على ممارسة السلطة الأوروبية على العالم الإسلامي وتدعمها.^(٢) وقد تواترت دراسات نقد الاستشراق على ذلك، إلا أنَّ التعميم على جميع المستشرقين في هذا الشأن غير وارد.

هناك من سعى بعد الاعتراف بهذه العلاقة المتبادلة إلى توظيفها لمصلحة الإسلام، حتى مع أولئك المستشرقين الذين خدموا الاحتلال، فإنه ينظر إلى بعضهم أنَّهم خدموا الإسلام أكثر من خدمتهم للاحتلال، فقد «كانوا علماء وفوا للبحث العلمي حقَّه، ربما أكثر مما وفوا لخدمتهم للاستعمار. وانتهى الجانب السلبي من عملهم وبقي ما يمكن أنْ نسميه الجانب الإيجابي».^(٣)

مع هذه الروح العلمية والموضوعية والاهتمام بالتراث العربي الإسلامي إلا أنَّ ساسي سالم الحاج لا ييرئ الاستشراق الألماني

(١) انظر: زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، مرجع سابق، ص ١٥٨ - ١٧٢.

(٢) انظر: زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٣) انظر: عبدالكريم غالب، العرض التمهيدي، ص ١٧ - ٣٦، والنصل من ص ٣٦، في: المغرب في الدراسات الاستشرافية، مرجع سابق، ٢٢٩ ص.

من النزعة السياسية والاحتلالية، فقد حيل بين الألمان والاحتلال - كما مر ذكره - ، رغم محاولات قامت لاحتلال بعض البلدان في أفريقيا. ومع هذا لا يغفل ساسي سالم الحاج جملة من الميزات للاستشراق الألماني تثبت أنه كان من عوامل التأثير الإيجابي في الثقافة الغربية عموماً والثقافة الألمانية خصوصاً.^(١) وكما كان من عوامل التأثير الإيجابي للثقافة الغربية كان هو قبل أن يأذن بالتأثير متأثراً بالثقافة العربية الإسلامية، ولو لم يكن كذلك لما كان له هذا التأثير الإيجابي على الثقافة الغربية.

لا تنتهي هذه الوقفة من دون توكييد تأثير الاستشراق الألماني في الثقافة العربية الإسلامية، لا سيما في مجالات التوثيق والتكتشيف والفهرسة والتاريخ للعلوم والتراث، بحيث يمكن القول إنَّ الجهود العربية المتأخرة في عنايتها بالتراث العربي الإسلامي كانت وما تزال عالَةً على المنهج الاستشرافي الألماني، من دون أن تُغفل هذه الجهود سُدَّ العجز أو النقص الذي اعترى الإسهامات الاستشرافية، سواء من حيث المنهج المصحوب بالانماء الثقافي، أم من حيث شمولية التغطية للتراث.

لا يتَّسع المجال لذكر نماذج من هذه الجهود التي تسلَّمها والتفت إليها علماء العربية والإسلام في هذه المناحي من حفظ

(١) انظر: خصائص الدراسات الاستشرافية في ألمانيا، ١: ١٢٩ - ١٤٦، في: ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشرافي: الظاهرة الاستشرافية وأثرها في الدراسات الإسلامية، مرجع سابق.

التراث العربي الإسلامي وتكثيفه وفهرسته والعناية بالمخوطط منه دراسةً وتحقيقاً ونشرًا، بتحريض من الجهود الاستشرافية، ليس بالضرورة مباشرةً، ولكن تقمصاً وتأثيراً. ^(١)

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة، الاستشراف بين منحىَنِ: النقد الجذري أو الإدانة الرياض؛ المجلة العربية، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ٥٠ ص، (سلسلة كتب المجلة؛ ١٢٠).

الخاتمة

الخلاصة والنتيجة

حاولت هذه الدراسة التركيز على أبرز مناحي التأثير والتأثير بين الثقافات المعاصرة، وأثبتت ونفت - في محاولة للنقاش الموضوعي المؤصل - مدى التأثر أو التأثير. وتجسّدت هذه المناخي بخمسة عوامل، هي:

- ١ - الحضارة وتناولها،
- ٢ - البعثات التعليمية إلى الغرب،
- ٣ - الجالية المسلمة في الغرب،
- ٤ - المسلمين الغربيون،
- ٥ - الاستشراق،

وهي هنا ليست مناحي حصرية، بل هي منتقاة؛ إذ إنَّ هناك مناحي أخرى غيرها، قد تدخل في مفهوم المنطلقات، وقد تدخل في مفهوم المحددات بين الثقافات، التي عالجها الباحث في كتاب آخر له بعنوان الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها، وجرى ذكره في هوامش هذه المعالجة.

ويخلص الباحث إلى أنَّ مسألة التأثير والتأثير بين الثقافات، بل الحضارات، مسألة حتمية، تفرضها العلاقات بين الأمم والشعوب، والأصل أنَّ كلاًً منها يُقدِّم للآخرين أفضل ما يملك، ويأخذ منهم أفضل ما يملكون.

وهذا يعني أنَّ الثقافات لا تخلي من عوامل يمكن تعميمها، وعوامل أخرى لها طابع المُحلي في التعاطي معها، ولا تقبل التفاعل مع غيرها من الثقافات المُحلية، باستثناء الثقافة الإسلامية الصحيحة المستمدَّة مباشرةً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإسهامات السلف الصالح، تلك التي لم تأتِ لأمةٍ بعينها، ولم يختصَّ بها شعب دون غيره، بل هي قابلة للتكييف في الفروع وبعض الأحكام الفقهية بحسب الأحوال والموقع والأزمان، دون الحفر في الثوابت، وإنما الفروقات الثقافية تأتي في اختلاف نسبة المُحلي إلى العالمي.

تجاهل هذه الأبعاد لا يخدم التحالف الحضاري، الذي هو لغة هذا العصر الذي يموج بالتحديات الفكرية والسياسية والوعي العام والنزع إلى فرض الحقوق وانتزاعها بعد استلامها، مع أنَّ هذا التحالف يأخذ طريقه بسلامة في واقع الأمم اليوم، من دون النظر إلى الأبعاد السياسية وبعض الأبعاد الثقافية التي لا تريد أنْ تؤمن بفكرة التحالف، وربما نظرت إليها على أنها نوع من تضييع الهيمنة الغربية من الجانب الغربي، أو رأت أنها نوع من الموالاة المنهيَّ عنها قطعاً في الفكر الإسلامي من الجانب الشرقي.

والتحالف، لا هو هذا ولا هو ذاك. ولكل الحق في الاستثناء (١) الثقافي.

ومن هنا يأتي القصد من بسط هذه المناحي الخمسة في تجديد الدعوة إلى التعارف بين الشعوب والأمم، والعيش على المشترك - وهو كثير - بين الثقافات؛ سعيًا إلى عمارة الأرض والاستخلاف عليها. قال تعالى: «وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً قَالُوا أَبَجَعَلُ فِيهَا مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَيْحُ بِهَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (البقرة: ٣٠).

ولم يتم التعرُّض لبعض المؤثّرات الأخرى على أنها مناح للتأثير والتأثير، بل جرى الحديث عن بعضها على أنها إلى التأثير أقوى منها إلى التأثير، من مثل التنصير والاحتلال والعلومة والعلمنة واللبرالية الغربية والحداثة الغربية.

ويظل الجدل بين الثقافات قائماً في سياق حول تأثير ثقافات بثقافات، وتظل «المحافظة» قائمةً في الممانعة من التأثير بثقافات أخرى باستخدام الاستثناء الثقافي، مع قيام الرغبة في التأثير من طريق واحد غير مزدوج. والغلبة دائمًا للأصلح، الذي يضمن سعادة البشرية وشيوخ المشتركات الإنسانية. قال تعالى: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِيَّةٌ الْحَيَاةِ الْأُدَنِيَّةِ وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلَاً» (الكهف: ٤٦). وقال تعالى: «وَيَزِيدُ اللَّهُ أَلَّا دِينَ اهتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ حَيْثُ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَحَيْثُ مَرَادُهُ» (مريم: ٧٦).

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة، الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعلمة، مرجع سابق، ٥٠ ص.

مراجع البحث

- ١ - أبو خليل، شوقي. الحوار دائمًا وحوار مع مستشرق. - ط ٣
دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦ م. - ص ١٢٧.
- ٢ - أبو خليل، شوقي. كارل بروكلمان في الميزان. - دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م. - ص ٥ - ٦.
- ٣ - أبو ديب، الصيد. من مظاهر التأثير والتأثير في الفكر العربي المعاصر: نظرات في تقسيمات المستشرقين ومؤرخي العرب للتاريخ الأدب العربي. - مجلة كلية الدعوة الإسلامية. ع ١٨ (٢٠٠١ م). - ص ٣٠٦ - ٣٤٥.
- ٤ - أبو دية، أيوب. لماذا انحسرت التأثيرات العلمية المتبادلة بين العرب والغرب؟. - ص ٢٧١ - ٢٨٢. - في: عبد الواحد لؤلؤة، وأخرين، محرّرين. العرب والغرب: أوراق المؤتمر العلمي السنوي السابع لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا. - عمان: الجامعة، ٢٠٠٣ م. - ص ٥٩٩.
- ٥ - أبو زيد، بكر. التعالّم وأثره على الفكر والكتاب. - القاهرة: دار ابن الجوزي، ٢٠٠٦ م. - ص ٩٣.
- ٦ - أبو هيف، عبدالله المثقفة والمثقفة المعكوسة في الاستشراق تأثير الثقافة العربية الإسلامية أنموذجًا. - الكلمة. - ع ٥٠، مج ١٣ شتاء ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ.
- ٧ - إدريس، محمد جلاء. التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي. - القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٣ م. - ١٤٤ ص.

- ٨ - إدريس، محمد جلاء. العلاقات الحضارية.- دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. ص ١٧٦.
- ٩ - أرحيلة، عباس. الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربين إلى حدود القرن الثامن الهجري.- الرباط: جامعة محمد الخامس، ١٩٩١م. ص ٧٠٠.
- ١٠ - الأرناؤوط، محمد. إسلام البوسنة: جسر أوروبياً إلى العالم الإسلامي.- التسامح.- ع ١٢ (خريف ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).-. ص ٢٧٣ - ٢٨٢.
- ١١ - الأسطة، عادل. إحسان عباس وحقول الأدب المقارن.- نص الورقة التي ألقيت في جامعة بيرزيت في ١٤/١٢/٢٠٠٥.
- ١٢ - ألبان، كارل. المدرسة الألمانية الإنجيلية الثانوية بالقاهرة اليوم.- ص ٥٢٩ - ٥٤٢. - في: ألمانيا والعالم العربي : دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه/ حققه بالألمانية هانس روبرت رويمير، ونقله إلى العربية مصطفى ماهر وكمال رضوان.- بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م. ص ٦٤٦.
- ١٣ - الأمراني، حسن. أيها الغرب أين مشرقك؟.- ص ١١٦. - في: مصطفى سلوى. الخطاب الاستشرافي في أفق العولمة: يوم دراسي.- وجدة: جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م. ص ١٦٦.
- ١٤ - أيوب، برسوم يوسف. أول جسر عبرت منه قافلة الروم والفرس إلى العرب.- المجلة العربية.- مج ٤ ، ع ١ (١٤٠٠هـ / ٢٠٠٥).-. ص ٨٨ - ٩٢.
- ١٥ - بدران، محمد أبو الفضل. الاستشراق الألماني المعاصر.- آفاق الثقافة والتراث.- ع ٢٢ (١٤١٩هـ / ٢٢٣).-. ص ٥٧ - ٥٠.

- ١٦ - بدران، محمد أبو الفضل. العرب وألمانيا ودور المستشرقين الألمان الثقافي والقدي. - ص ١٤٤٥ - ١٤٦٥ . - في: المؤتمر الدولي عن مناهج التجديد في العلوم الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ٢٤ - ٢٦ محرم ١٤٢٦ هـ الموافق ٥ - ٧ مارس ١٨٣٢ م. - المنيا: الجامعة، الكلية، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م. - ص.
- ١٧ - بدوي، عبدالرحمن. دور العرب في تكوين الفكر الأوروبيي. - القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤ م. - ٢٥٦ ص.
- ١٨ - بوتيفو، برنارد. التقاليد الإسلامية للأسرة في السياق القانوني الفرنسي / ترجمة نور محمد العامودي. - الاجتهد. - ع ٣٩ و ٤٠ (صيف و خريف العام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م). - ص ٢٦٣ - ٢٧٨.
- ١٩ - بوكانن، باتريك ج. موت الغرب: أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزووات المهاجرين على الغرب / نقله إلى العربية محمد محمود التوبية، راجعه محمد بن حامد الأحمرى. - الرياض: مكتبة العيكان، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م. - ٥٢٩ ص.
- ٢٠ - بوكاي، موريس. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨ م. - ٢٩١ ص.
- ٢١ - جب، هاملتون وهارولد بوون. المجتمع الإسلامي والغرب / ترجمة أحمد عبدالرحيم مصطفى، مراجعة أحمد عزّت عبد الكرييم. - ٢ ج. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١.
- ٢٢ - جحا، ميشال. الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا في القرن العشرين. - الاستشراف. - ع ٣ (١٩٨٩ م). - ص ١٠١ - ١١٢ . - بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠ م. - ٢٢١ + ٣٩ ص. سلسلة الثقافة المقارنة).
- ٢٣ - جحا، ميشال. الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا. - بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٢ م. - ٣٠٧ ص.

- ٢٤ - جحا، ميشال. عمر فروخ والاستشراق.- الاجتهد.- ع ٢٥ (خريف العام ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م).- ص ١٣١ - ١٥١.
- ٢٥ - جحا، ميشال. «مستعرجان ألمانيان بارزان: هلموت ريتز ورودي بارت». - الاستشراق.- ع ٣ (١٩٨٩).- ص ١١٣ - ١١٩.
- ٢٦ - جحا، ميشال. موقف الدكتور عمر فروخ من الاستشراق والمستشارين.- ص ٨١ - ٩٠ - في: الاستشراق.- ع ٤ (شباط ١٩٩٠ م).- (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠ م.).- ٢٢١ + ص ٣٩ من سلسلة الثقافة المقارنة).
- ٢٧ - الجميل، سيار. العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط: مفاهيم عصر قادم.- بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٧ م.- ٢٦٨ ص.
- ٢٨ - الحاج، سامي سالم. نقد الخطاب الاستشرافي: الظاهرة الاستشرافية وأثرها في الدراسات الإسلامية.- ٢ مج.- بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢ م.
- ٢٩ - الحافي، عامر. ابن رشد واللاهوت المسيحي في العصر الوسيط. مجلة الكلمة.- ع ٢١ (١٩٩٨ م).-
- ٣٠ - حداد، إيفون يزيك. المسلمين في أمريكا.- القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.- ٣٠٤ ص.
- ٣١ - حسن، خيرية. العرب وألمانيا من الحروب الصليبية إلى حوار الحضارات.- النور.- ع ١٦١ (٢٠٠٧ / ٤).-
- ٣٢ - حسن، محمد خليفه. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.- ٤٧٠ ص.
- ٣٣ - الحسيني، سليمان بن سالم بن ناصر. الحملات التنصيرية إلى عُمان وال العلاقات المعاصرة بين النصرانية والإسلام.- لندن: دار الحكمة، ٢٠٠٦ م.- ٥٢٣ ص.

- ٣٤ - حشيشو، محمد علي. الرحال الألمان إلى البلاد العربية.- ص ٧٩
- ٩٢ - في: صلاح الدين المنجد. المستشرقون الألمان: ترجمتهم وما أسهموا به في الدراسات العربية.- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢ م.- ١٩٢ ص.
- ٣٥ - حمد، محمد عبد الحميد. حوار الأمم: تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان.- دمشق: دار المدى، ٢٠٠١ م.- ٥٣١ ص.
- ٣٦ - حنفي، حسن. العالم الوطني والزائر الاجنبي: قياس إرادة الشعوب يتحقق بالتعرف على نبض الشارع.- جريدة الزمان.- ع ٢١٦٣ (١٦ / ٧ / ٢٠٠٥).
- ٣٧ - خالدي، مصطفى وعمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي.- بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٣ م.- ٢٠١ ص.
- ٣٨ - خليل، عماد الدين. قالوا عن الإسلام.- الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.- ٥٠٤ ص.
- ٣٩ - الخوند، مسعود. الأقليات المسلمة في العالم: انتشار المسلمين في البلدان غير العربية وغير الإسلامية.- ط ٢.- بيروت: الشركة العالمية، ٢٠٠٦ م.- ٣١٧ ص.
- ٤٠ - دي بلوا، فرانسوا. في نقد المستشرقين / ترجمة رضوان السيد.- الفكر العربي.- مجل ٥ ع ٣٢ (نيسان / إبريل) - حزيران (يونيو) ١٩٨٣ م.- ص ١٤٥ - ١٥١.
- ٤١ - رايسموت، شتيفان. خطابات الاستشراق؟ موقع الدراسات الإسلامية والشرقية في ألمانيا اليوم / ترجمة عدنان حسن.- ص ٩٣
- ١٠٥ - في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها / ترجمة



عدنان حسن ومحمد صبيح.-بيروت: قدمس، ٢٠٠٦م.-١٤٠.
ص.

٤٢ - الريعي، فاضل. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعود الكولونياليات البيضاء.- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م.- ٣٠٤ ص.

٤٣ - الريادي، محمد فتح الله. الاستشراق: أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون.- د.م.: دار قتبة، ١٩٩٨م.- ص ٧٤ - ٨١.

٤٤ - زيدان، جرجي. تاريخ التمدن الإسلامي.- ٣ مج.- القاهرة: دار الهلال، ١٩٦٨م.

٤٥ - سعيد، إدوارد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عناني.- القاهرة: رؤية، ٢٠٠٦م.- ٥٦٠ ص.

٤٦ - السمّاك، محمد. عندما احتلَّ المسلمون جبال الألب.- التسامح.- ع ١٣ (شتاء ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م).- ص ٢٥٤ - ٢٨٠.

٤٧ - السمّاك، محمد. موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد.- ط ٢.- بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.- ٣٤١ ص.

٤٨ - سمايلوفتش، أحمد. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.- القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.- ٧٨٠ ص.

٤٩ - سنُو، عبدالرؤوف. الألمان والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين.- بيروت: دار الفرات، ٢٠٠٧م.- ٦١١ ص.

٥٠ - السيد، رضوان. الاستشراق الألماني مرّة أخرى: ترجمة عربية لكتاب نولدكه عن القرآن.- التسامح.- ع ٨ (خريف ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).- ص ٢٨٦ - ٢٩٠.

- ٥١ - السيد، رضوان. أوروباً المعاصرة والإسلام.- التسامح.- ع ١٣
 (شتاء ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م).- ص ٣١٥ - ٣٢٦.
- ٥٢ - السيد، رضوان. تأثيرات المستشرقين الألمان في البحوث الأكademية العربية.- التسامح.- ع ٨ (خريف ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).- ص ٢٤٥ - ٢٥٢.
- ٥٣ - السيد، رضوان. المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر.-
 بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧ - ٩٦ ص.
- ٥٤ - سيد، خالد. رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والقبائل.-
 الكويت: مكتبة دار التراث، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م. - ١٢٨ ص.
- ٥٥ - الشاتري، فوشيه. تاريخ الحملة إلى القدس / ترجمة زياد العسلي.- عمان: دار الشروق، ١٩٩٠م. - ٢٦٢ ص.
- ٥٦ - الشاهد، السيد محمد. الاستشراق ومنهجية التقدّم عند المسلمين المعاصرین.- الاجتهد.- ع ٢٢ (شتاء العام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م).- ص ١٩١ - ٢١١.
- ٥٧ - الشاهد، السيد محمد. رحلة الفكر الإسلامي من التأثير إلى التأزم.-
 بيروت: دار المنتخب العربي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م. - ٢٣٢ ص.
- ٥٨ - الشاهد، السيد محمد. صلة التأثير والتأثر بين الحضارة الإسلامية وغيرها في: المؤتمر الرابع عشر: حقيقة الإسلام في عالم متغير في الفترة من ١١ - ٨ ربى الأول ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠ - ٢٣ مايو ٢٠٠٢ م.- القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٢ هـ / ١٤٢٣ م.
- ٥٩ - شاهين، أحمد. صناع الشر.- القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤ م. - ٢٠٧ ص.- (سلسلة إقرأ؛ ٦٩٥).
- ٦٠ - شتيبيات، فريتس. الإسلام شريكًا: دراسات عن الإسلام والمسلمين / ترجمة عبدالغفار مكاوي.- الكويت: المجلس الوطني

- للثقافة والفنون والأداب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م - ٢٠٦ ص. -
 (سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٠٢).
- ٦١ - الشواربي، محمود يوسف. الإسلام في أمريكا/ تقديم شيخ
 الجامع الأزهر محمود شلتوت. - القاهرة: لجنة البيان العربي،
 ١٩٦٠م. - ٢١٨ ص.
- ٦٢ - شودل، جوتنر. التبادل الثقافي بين ألمانيا والعالم العربي. - ص
 ١٠٣ - ١١٣. - في: مصطفى ماهر، معد. حوار بين الألمان
 والعرب: سجل الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في
 (توبينجن) عام ١٩٧٤م. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،
 ١٩٧٦م. - ٣٠٦ ص.
- ٦٣ - الصياغ، محمد لطفي. الابتعاث ومخاطره. - دمشق: المكتب
 الإسلامي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٦م.
- ٦٤ - طرابيشي، جورج. ازدواجية العقل: دراسة تحليلية نفسية لكتابات
 حسن حنفي. - دمشق: دار بترا، ٢٠٠٥م. - ٣٠٣ ص. - (سلسلة
 المرض بالغرب؛ ٢).
- ٦٥ - طرابيشي، جورج. المرض بالغرب: التحليل النفسي لعصاب
 جماعي عربي. - دمشق: دار بترا، ٢٠٠٥م. - ١٨٤ ص.
- ٦٦ - طرابيشي، جورج. هرتفقات عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة
 والممانعة العربية. - بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٦م. - ٢٢٩ ص.
- ٦٧ - العاتي، إبراهيم. إشكالية المنهج في دراسة الفلسفة الإسلامية. -
 بيروت: دار الهادي، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. - ١٣٥ ص.
- ٦٨ - عبدالرؤوف، محمد عوني. فردریش ریکرت: عاشق الأدب
 العربي. - ط٢. - بيروت: مكتبة الأداب، ٢٠٠٦م. - ١٧٨ ص.
- ٦٩ - عبدالرحمن، ديمة. الإسلام في ظل ظروف شمالية أوروبية:
 الفلسطينيون في برلين/ ترجمة أبو بكر باقادر. - الاجتهد. - ع ٣٩

٤٠ - وصيف وخريف العام ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.- ص ٢٧٩ . ٢٩٣

٧٠ - عبد الرّاق، صلاح. المفكرون الغربيون المسلمين: دوافع اعتنائهم بالإسلام.- ٢ ج.- بيروت: دار الهدى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٧١ - عبدالسلام، أحمد حسن. تاريخ الاستشراق الألماني.- الفكر العربي.- مع ٥ ع ٣١ (كانون الثاني /يناير - آذار (مارس) ١٩٨٣م.- ص ١٨٨ - ٢٠٢).

٧٢ - عبيدي، حسني. المسلمين في أوروبا بين الاندماج والتهبيش.- أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠١٠م.- ٦٢ ص.- (سلسلة محاضرات الإمارات؛ ١٣٧).

٧٣ - عثمان، أبو زيد ومحمد وقيع الله أحمد. الوجود الإسلامي في أمريكا: الواقع والأمل - مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٦هـ.- ١٤٦ ص.- (سلسلة دعوة الحق؛ ٢١٢).

٧٤ - العشماوي، فوزية. الحوار بين الحضارات وقضايا العصر: العولمة وأثارها على الخصوصيات الثقافية.- الاجتهد.- ع ٥٢ و ٥٣ (خريف وشتاء العام ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ م/ ١٤٢٢هـ).- ص ٩٧ - ١١٢.

٧٥ - العطاوي، عبد الرحيم. الاستشراق الروسي: مدخل إلى تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في روسيا.- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م.- ص ٧٣ - ٧٨ .

٧٦ - العقيلي نجيب. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع ترافق المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم.- ٣ - ٣ مج.- ط ٥.- القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م.

٧٧ - إسماعيل أحمد عمادرة.- بحوث في الاستشراق واللغة.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.- ص ٢٩٣ - ٣٦٤.



- ٧٨ - عمارة، محمد. الغارة الجديدة على الإسلام: بروتوكولات قساوسة التنصير.- ط.٣.- القاهرة: دار الرشاد، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.- ص ٢٧١.
- ٧٩ - غالى، وائل. ما بعد الاستشراق.- ٢ مع.- القاهرة: دار الهلال، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.- ١ : ١١.- (سلسلة كتاب الهلال، ٦٨٤).
- ٨٠ - غلاب، عبدالكريم. العرض التمهيدى.- ص ١٧ - ٣٦.- في: المغرب في الدراسات الاستشرافية.- ٢٢٩- ص.
- ٨١ - غودي، جاك. أوروبا والإسلام.- بيروت: دار عويدات، ٢٠٠٥م.- ٢٣٢ ص.
- ٨٢ - الفقيه، يونس. صور العرب الغربية: انحرافات منهجية.- ص ٥٠٩ - ٥٢٧.- في: عبدالواحد لؤلؤة، وأخرين، محررین. العرب والغرب: أوراق المؤتمر العلمي السنوي السابع لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا.- عمان: الجامعة، ٢٠٠٣م.- ٥٩٩ ص.
- ٨٣ - فتوح، عيسى. محمد روحي فيصل الناقد المثقف (١٩١٢ - ١٩٦٩).- جريدة البعث.- ع ١١٣١٧٨ (٦/٢٧). م ٢٠٠٧.
- ٨٤ - فوك، يوهان. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين / نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم.- ط ٢.- بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠١م.- ٣٥٢ ص.
- ٨٥ - قاسم، قاسم عبده. ماهية الحروب الصليبية.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.- ٢٤٣- ٢٤٣ ص.- (سلسلة عالم المعرفة ٤). (١٤٩).
- ٨٦ - القاضي، أحمد عرفات. الاستشراق والاستغراب: عرض ومناقشة مقالات لبرنارد لويس.- صحيفة الحياة.- ع ١٦٢٢٠ (٨/١٩). م ٢٠٠٧/٩/١.- ٢٥ ص.

- ٨٧ - قدوري، زبير سلطان. الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١: دراسة.- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣م.- ص ١٣١.
- ٨٨ - قرامي، آمال. قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث.-تونس: دار الجنوب، ١٩٩٦م.- ١١٧ ص.
- ٨٩ - قرم، جورج. المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين.- بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧م.- ٤٠٧ ص.
- ٩٠ - قصیر، سمير. تعليق/ ترجمة محمد صبح، ص ١٠٧ - ١١٣ ، في: يوسف كرياج ومتفرّد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح، بيروت: قدمس، ٢٠٠٦م.- ١٤٠ ص.
- ٩١ - قرنى، بهجت، وأخرين. صناعة الكراهية في العلاقات العربية.- الأمريكية.- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م.- ٤٠٦ ص.
- ٩٢ - القعید، إبراهيم بن حمد. الطلبة المسلمين في الغرب بين المخاطر والأمال.- الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٥هـ.- ١٢٦ ص.
- ٩٣ - كارول، لوسى. المرأة المسلمة والطلاق الإسلامي في إنجلترا/ ترجمة أبو بكر باقادر.- الاجتهاد.- ع ٣٩ و ٤٠ (صيف وخريف العام ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).- ص ٢٢٩ - ٢٦١.
- ٩٤ - كرياج، يوسف ومتفرّد كروب، مشرفان. تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضرها/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح.- بيروت: قدمس، ٢٠٠٦م.- ١٤٠ ص.
- ٩٥ - الكظُّ، بوسليمان.عروبة والإسلام والغرب (الجابري).- الاجتهاد.- ع ٥٤ (ربيع العام ٢٠٠٢م / ١٤٢٣هـ).- ص ٣٤١ .٣٥٥

- ٩٦ - لازاروس.- يافه، هافانا. الفكر الإسلامي والفكر اليهودي : بعض جوانب التأثير القافي المتبادل. - الاجتهد. - ع ٢٨ (صيف العام ١٤١٦هـ ٢٠٩ - ص ١٧٩ ١٩٩٥م).
- ٩٧ - لانج، جفرى. ضياع ديني : صرخة المسلمين في الغرب / ترجمة يحيى إبراهيم الشهابي.- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٧م.- ٤٠٨ ص.
- ٩٨ - لوكمان، زكاري. تاريخ الاستشراق وسياساته/ ترجمة شريف يونس.- القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧م.- ٤٢٦ ص.
- ٩٩ - اللاوندي، سعيد. الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟.-القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م.- ٣١٨ ص.
- ١٠٠ - ماهر، مصطفى. الترجمة من الألمانية إلى العربية.- ص ٥٩٢ - ٦٢٣ .- في: ألمانيا والعالم العربي: دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه/ حققه بالألمانية هانس روبرت رويمير ، ونقله إلى العربية مصطفى ماهر وكمال رضوان.- بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م.- ٦٤٦ ص.
- ١٠١ - محفوظ، محمد. الإسلام، الغرب وحوار المستقبل.- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.- ٢٣٠ ص.
- ١٠٢ - مراد، يحيى. مُعجم أسماء المستشرقين.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.- ٧٤٢ ص.
- ١٠٣ - المزروعي، علي الأمين. القيم الإسلامية والقيم الغربية.-أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، د. ت.- ص ١٨ -(سلسلة دراسات عالمية؛ ٢١).
- ١٠٤ - مطر، جميل. الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة.- ص ٢٦٣ - ٢٨٧ .- في: بهجت قرني ، وآخرين. صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية.- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م.- ٤٠٦ ص.

- ١٠٥ - معلوم، أمين. الحروب الصليبية كما رأها العرب / ترجمة عفيف دمشقية. - بيروت : دار الفارابي ، ١٩٩٧ م. - ٣٥٢ ص.
- ١٠٦ - المنجد، صلاح الدين. «الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله». - الهلال .- مع ٨٢، ع ١١ (١٣٩٤ هـ - ١١/١٠) م. - ص ٢٢ - ٢٧ .
- ١٠٧ - المنجد، صلاح الدين. الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله. - ص ٨٠ - ٨٨ .- في : مصطفى ماهر ، معد. حوار بين الألمان والعرب: سجلُ الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في (توبىتجن) عام ١٩٧٤ م. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م. - ٣٠٦ ص.
- ١٠٨ - المنجد، صلاح الدين. المستشرون الألمان: ترجمتهم وأسهموا به في الدراسات العربية. - بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٢ م. - ص ٧ - ٨ .
- ١٠٩ - المهيري، سعيد حارب. حقوق الإنسان في العلاقات الدولية الإسلامية. - الاجتهاد .- ع ٥٢ و ٥٣ (خريف وشتاء العام ٢٠٠١ - ١٤٢٢ هـ). - ص ١٣٣ - ١٨٥ .
- ١١٠ - مورجان، مايكيل هاملتون. تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفنانيه / ترجمة أميرة نبيه بدوي. - القاهرة: نهضة مصر ، ٢٠٠٨ م. - ٣٠٢ ص.
- ١١١ - الموسوي، محسن جاسم. «الاستشراق السياسي: فرضياته واستنتاجاته». - الاستشراق .- ع ٣ (١٩٨٩ م). - ص ٤ - ١٣ .
- ١١٢ - موقع مفكرة الإسلام . Isalammemo.cc في ٣/٨/١٤٣٤ هـ - ١٢ / ٦/٢٠١٣ م.
- ١١٣ - مومن، كاتارينا. جوته والعالم العربي / ترجمة عدنان عباس علي ، مراجعة عبدالغفار مكارى. - الكويت: المجلس الوطني

- للتّقافة والفنون والأداب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م - ٣٨٦ ص.- (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٩٤).
- ١١٤ - ناجي، عبدالجبار. الاستشراق في التاريخ: الإشكاليات - الدوافع - التوجّهات - الاهتمامات.- بيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث، ٢٠١٣م.- ٥٨١ ص.
- ١١٥ - النملة، علي بن إبراهيم. الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والuniversalité.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.- ٥٠ ص.
- ١١٦ - النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق بين منحىين: النقد الجدرى أم الإدانة.- الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.- ٥٠ ص.- (سلسلة كتب المجلة؛ ١٢٠).
- ١١٧ - النملة، علي بن إبراهيم. التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.- ٢٧٠ ص.
- ١١٨ - النملة، علي بن إبراهيم. السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميّز في زمن العولمة.- الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.- ٣١٢ ص.
- ١١٩ - النملة، علي بن إبراهيم. الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها.- ط.٣.- بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.- ٣٥٢ ص.
- ١٢٠ - النملة، علي بن إبراهيم. صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها.- دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م.- ١٧١ ص.- (سلسلة نقد العقل المعاصر).
- ١٢١ - النملة، علي بن إبراهيم. فكر التصدّي للإرهاب: مراجعات في المفهوم والأسباب والهوية والأوزار.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.- ١١٣ ص.

- ١٢٢ - النملة، علي بن إبراهيم. موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل.- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .- ٨٨ ص.
- ١٢٣ - النملة، علي بن إبراهيم. النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية.- ط ٣.- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .- ٢٠٤ ص.
- ١٢٤ - نيلسن، يورغن. المسلمين في أوروبا/ ترجمة وليد شميط.- بيروت : دار الساقية ، ٢٠٠٥م .- ٣٠١ ص.
- ١٢٥ - محمد نimer. المسلمين الأمريكيون وإدارة أوباما.- أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، ٢٠١٠م .- ٥٩ ص.- (سلسلة محاضرات الإمارات ، ١٣٥).
- ١٢٦ - هارمان، أوليرش. المستشرقون الألمان والعصر الحديث في العالم الإسلامي.- ص ٥٢٩ - ٥٤٢ .- في : ألمانيا والعالم العربي : دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه/ حققه بالألمانية هانس روبرت رويمير، ونقله إلى العربية مصطفى ماهر وكمال رضوان.- بيروت : دار صادر ، ١٩٧٤م .- ٦٤٦ ص.
- ١٢٧ - هويسون، جون إم. الجذور الشرقية للحضارة الغربية/ ترجمة منال قايل.- القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .- ٤١١ ص.
- ١٢٨ - هوفرمان، مراد. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود/ تعريب عادل المعلم ويس إبراهيم.- القاهرة : مكتبة الشروق ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .- ٢٧٥ ص.
- ١٢٩ - هوفرمان، مراد. الإسلام كبدائل.- الكويت : مجلة النور ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .- ٢٥١ ص.

- ١٣٠ - هونكه، زيجريدي. التوجّه الأوروبي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محظوظ / ترجمة هاني صالح.- تقديم إسماعيل مرّوة.- بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.- ص ٢٩٥.
- ١٣١ - هيذنكر، فريتس. قوى عاملة من البلاد العربية في جمهورية ألمانيا الاتحادية.- ص ٤٨٠ - ٤٨٣ .- في: ألمانيا والعالم العربي: دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه/ حقّقه بالألمانية هانس روبرت رويمير، ونقله إلى العربية مصطفى ماهر وكمال رضوان.- بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م.- ص ٦٤٦.
- ١٣٢ - وزارة الخارجية المجرية. الطريق من الشرق إلى المجر: ولادة الدراسات الشرقية - المجرية وإنجازاتها، تقرير صادر عن وزارة الخارجية المجرية - ترجمة: نعيم سعد الغول، راجعه بالعربية وعلق عليه: عبد الرحمن بن محمد بن عمر العقيل.- الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.- ص ٧٦.
- ١٣٣ - يهاني، محمد عبد. المسلمين السود في أمريكا: القصة الكاملة.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٧هـ.- ص ٤٤.
- ١٣٤ - يوسف، توفيق. نظرية التأثير والتأثير: نماذج من الأدب العربي والأدب الإنجليزي- المجلة الثقافية (الجامعة الأردنية)- ع ٥٤ و ٥٥ (جمادي الأولى ١٤٢٢هـ - محرّم ١٤٢٣هـ) حزيران (يونيو) ٢٠٠١م.- آذار (مارس) ٢٠٠٢م.- ص ١٧٣ - ١٧٨.
- ١٣٥ - يونس، أحمد. المسلمين الأمريكيون: أقسام أنّ أقول الحقّ/ ترجمة نشأت جعفر- القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.- ص ٤٨ .

Bucaille, Maurice. *The Bible the Qur'an and Science*. - Translated from French by: Alastair D. Pannell and the Author.- Indianapolis: North American Trust, 1978.- p 117. - ١٣٦



Nimer, Mohamed. American Muslims and the Obama Administration.- ١٣٧

Abu Dhabi: The Emirates Center for strategic Studies and Research, 2010.

52 p.(Emirates Lecture Series; 82).

Scahill, Jeremy. Blackwater: The Rise of the World's Most Powerful ١٣٨

Mercenary Army New York: Nation Books, 2007.- 464 p.



الفهرس

	المستخلص
٧	
١١	المدخل
٢٩	المؤتمر الأول: العلاقات الحضارية
٤٨	المؤتمر الثاني: البعثات التعليمية
٦٣	المؤتمر الثالث: الوجود الإسلامي في الغرب
٨١	المؤتمر الرابع: المسلمين الغربيون
٨٩	المؤتمر الخامس: الاستشراق: المستشرقون الألمان نموذجاً
١١٩	الخاتمة: الخلاصة والنتيجة
١٢٣	مراجع البحث



المؤلف

- الاسم: علي بن إبراهيم الحمد النملة.
- مكان الميلاد: البكيرية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
- تاريخ الميلاد: ٢٠/١٠/١٩٥٢ هـ الموافق ١٣٧٢/١/٢.
- التعليم العام: الرياض ١٣٧٧ - ١٣٩٠ هـ.
- الدراسة الجامعية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية. ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م. التخصص: اللغة العربية.
- الماجستير: جامعة فلوريدا الحكومية بتلاهاسي في الولايات المتحدة الأمريكية. ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م. التخصص: المكتبات والمعلومات.
- الدكتوراه: جامعة كيس وسترن رزرف بكيليفلاند، أوهايو في الولايات المتحدة الأمريكية. ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م. التخصص: المعلومات والمكتبات.
- أستاذ: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- باحث في معهد العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت بألمانيا ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ - ١٩٨٦ م.
- مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واشنطن، بالولايات المتحدة الأمريكية ١٤١٠ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- مدير عام الهيئة العامة لجمع التبرعات للمجاهدين الأفغان ١٤١٠ - ١٤١٢ هـ / ١٩٩٠ - ١٩٩٢ م.
- عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ - ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٤ - ١٩٩٩ م.

- وزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ - ٢٠٠٤ هـ / ١٩٩٩ - ١٤٢٥ هـ.
- وزير الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م.
- أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية علوم الحاسوب الآلي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- عضو عدد من جمعيات القطاع الثالث.
- باحث في الشأن الاستشرافي والتصريري والعلاقات الفكرية والحضارية بين الشرق والغرب.

الأعمال العلمية :

- أولاً: الكتب: (تم حساب الطبعة الأولى فقط من كل كتاب)
- ١ - الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الشخصية والعلمة، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، ٥٤ ص.
 - ٢ - الاستشراف بين منحىين: النقد الجندي أم الإدانة، الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م، ٥٠ ص، (سلسلة كتيب المجلة؛ ١٢٠).
 - ٣ - الاستشراف في الأدبيات العربية: عرض للنظارات ورصد ورافق المكتوب، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ٣٧٠ ص.
 - ٤ - الاستشراف والإسلام في المراجع العربية، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، ٢٢٤ ص.
 - ٥ - الاستشراف والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرين ومصادرتهم، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م - ٢٦٢ ص، (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٣).
 - مصادر المستشرين ومصادرتهم، ط ٢، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م، ٣٠٩ ص.

- ٦ - الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٥٦ ص.
- ٧ - إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. - ١٩٨ ص، (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٤).
- ٨ - إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٤٨ ص.
- ٩ - الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصل من المصطلح، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ١٨٢ ص، (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٥).
- ١٠ - تأملات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحديات، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ٢٥٠ ص.
- ١١ - التجسير الحضاري بين الأمم في ضوء تناول العلوم والأداب والفنون، الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ١١١ ص.
- ١٢ - التنصير في الأدبيات العربية، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ٢٧٢ ص.
- التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد ورافي للمطبوع، ط ٢، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٤١٩ ص.
- ١٣ - التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ١٢٠ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط ٢، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ١٥٢ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط ٣، الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ١٦٧ ص.

- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط ٤، الرياض: المؤلف: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ٢٤٨ ص.
- التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة، ط ٥، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٧٠ ص.
- ثقافة العبث: سلوكيات عببية في زمن الفاقة، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ٢٤٥ ص.
- الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ١٢٥ ص.
- السعوديون: الثبات والنماء، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ٣١٤ ص.
- السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميز في زمن العولمة، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ٢٤٥ ص.
- الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها، الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ٢٤٨ ص.
- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها، ط ٢، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م ..، ١٧٣ ص.
- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها، ط ٣، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٣٥٢ ص.
- الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسراً، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ١٥٢ ص.
- صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افعالها، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م، ١٧١ ص، (سلسلة نقد العقل المعاصر).
- ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٢١٠ ص، (موسوعة الدراسات الاستشرافية، ١).

- كُنه الاستشراق: المفهوم - الأهداف - الارتباطات، بيروت: مكتبة بيسان، هـ ١٤٣٢ / م ٢٠١١، ص ٣٠٢.
- ٢٢ العمل الاجتماعي والخيري في منطقة الخليج العربية: التنظيم - التحديات - المواجهة، الرياض: المؤلف، هـ ١٤٣١ / م ٢٠١٠، ص ٢٥٠.
- العمل الاجتماعي الخيري: التنظيم - التحديات - المواجهة، ط ٢، بيروت: مكتبة بيسان، هـ ١٤٣٥ / م ٢٠١٤، ص ٣٢٠.
- ٢٣ الفكر بين العلم والسلطة: من التصادم إلى التعايش، الرياض: مكتبة العبيكان، هـ ١٤٢٦ / م ٢٠٠٥، ص ٢٧٧.
- الفكر بين العلم والسلطة: من التصادم إلى التعايش، ط ٢، الرياض: مكتبة العبيكان، هـ ١٤٢٨ / م ٢٠٠٧، ص ٢٩٠.
- ٢٤ فكر الاتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات، الرياض: مكتبة العبيكان، هـ ١٤٢٧ / م ٢٠٠٦، ص ٣٢٤.
- ٢٥ فكر التصدّي للإرهاب: وقفات مع المفهوم والأسباب والأوزار، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، هـ ١٤٢٩ / م ٢٠٠٨، ص ١١٣.
- ٢٦ مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب، الرياض: المؤلف، هـ ١٤٣١ / م ٢٠١٠، ص ١٧٧.
- مناحي التأثير والتأثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب، ط ٢، بيروت: مكتبة بيسان، هـ ١٤٣٥ / م ٢٠١٤، ص ١٨٧.
- ٢٧ مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، هـ ١٤١٢ / م ١٩٩٢، ص ١٣٢.
- مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط ٢، الرياض: المؤلف، هـ ١٤٢٤ / م ٢٠٠٤، ص ٢٠٠.
- النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط ٣، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، هـ ١٤٢٧ / م ٢٠٠٦، ص ٢٠٤.

- ٢٨ - المستشرقون والسنّة والسيّرة في المراجع العربيّة، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ١٥٧ ص.
- ٢٩ - المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربيّة، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٦٩ ص.
- ٣٠ - المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر، ط ٢، الرياض: مكتبة التوبّة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ١٩١ ص، (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٢).
- ٣١ - مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ٥٦ ص، (ضمّن في كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية).
- ٣٢ - المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحفيّة، الرياض: مكتبة العيّان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ٢٨٤ ص.
- ٣٣ - مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد ورافي، الرياض: مكتبة التوبّة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ٢٦٠ ص. (بالاشتراك مع: أ. د. عفيف محمد عبدالرحمن).
- ٣٤ - المستشرقون والتصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصّرين، الرياض: مكتبة التوبّة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ١٧٨ ص، (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٤).
- ٣٥ - مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة، الرياض: المجلة العربية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ٣٩ ص، (سلسلة كُتب المجلة العربية؛ ٩٠). (بالاشتراك مع: أ. د. صالح بن محمد الصغيري).
- ٣٦ - موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ٨٧ ص.
- ٣٧ - نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربيّة، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٣٠٣ ص.

- ٣٨ - نقد الفكر الاستشرافي: الإسلام، القرآن الكريم، الرسالة، الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٧٩ ص.
- نقد الفكر الاستشرافي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة، ط ٢، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ٣٠٢ ص.
- ٣٩ - هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ٢٣٠ ص.
- هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ٢٤٥ ص.
- ٤٠ - وبشّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثراً، الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ٢٤٠ ص.
- وبشّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثراً، ط ٢، الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ٢٩٨ ص.
- ٤١ - الورقة وأشهر أعمال الوراقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ١٩٠ ص.
- ٤٢ - الورقة والوراقون في الحضارة الإسلامية، ٤ ج، الرياض: ٩٩٩، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ١١٥٠ ص.
- ٤٣ - وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية، الرياض: المجلة العربية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٦٦ ص، (سلسلة كُتُبِّ المجلة العربية؛ ٧٣).
- وقفات حول العولمة وتنمية الموارد البشرية، القاهرة: مجلة العمل، ٢٠٠٣م، ٤٦ ص. (سلسلة كتاب العمل؛ ٥٢٥).
- العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية، ط ٢، الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ١٧٦ ص.
- تهيئة الموارد البشرية في زمن العولمة، ط ٣، بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ٢٢٧ ص.

Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: an Assessment. - Ph. D. Dissertation. Cleveland, Ohio (USA): Matthew A. Baxter School of Information and Library Science, Case Western Reserve University, May 1984 280.

ثانياً: مقالات وبحوث علمية: (مرتبة هجائية)

- ١ - الاتّجار بالبشر: العلاج بالوقاية، ورقة عمل مقدمة للحلقة العلمية حول مكافحة الاتّجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض محرم ١٤٢٧هـ / فبراير ٢٠٠٦م، ١٧ ص.
- ٢ - أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ، مجلة الجامعة الإسلامية، ع ١٤٧ مج ٤٢ (١٤٣٠هـ - ديسمبر ٢٠٠٨م)، ص ١٦٥ - ١٦٣.
- ٣ - أثر مؤسسات المجتمع المدني في التعامل مع مؤتمرات المرأة، البحرين: الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية عن المرأة وأثارها على العالم الإسلامي، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ٢٠ ص.
- ٤ - أدوار المؤسسات الوسيطة في تنمية العمل الخيري: ورقة قدمت في ملتقى المؤسسات الوسيطة: شراكة وتكامل، الرياض: مؤسسة محمد وعبدالله ابني إبراهيم السبيعي الخيرية، ٢٩ - ١٢/٢٩ /١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/١١/٣م، ١٤ ص.
- ٥ - الإرهاب: المفهوم والهوية، الكويت: وزارة التعليم العالي، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٦ - الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعالمية، القاهرة: مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٢٩/١١/٨هـ - ٦ / ٢٠٠٨/١١م، ٣٨ ص.
- ٧ - الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: قضايا المسلمين المعاصرة، الصحوة «الأصولية»، في: ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ٣٤ ص.

- ٨ - الاستشراف والإسلام: مقدمة لفقد ورافي «بليوجرافي»، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٩ - الاستشراف والإعجاز في القرآن الكريم: دراسة في النقد الذاتي للاستشراف، ص ٢٥٣٤ - ٢٥١١، في: المؤتمر الدولي الثالث: العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة ١٤٢٨ - ١٦ صفر ١٤٢٨هـ الموافق ٤ - ٦ مارس ٢٠٠٧م، المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- ١٠ - الاستشراف والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين تؤثران على فكر الشباب تلقياً وتفاعلأً، في: المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي، عمان: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢٦ ص.
- ١١ - الاستشراف والقرآن الكريم: مقدمة لفقد ورافي «بليوجرافي»، مجلة البحوث والدراسات القرآنية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة)، ع ٣ (١٤٢٨/١١ - ١٤٢٧/١)، ص ١٩٥ - ٢٢٩.
- ١٢ - الاستشراف مصدر من مصادر المعلومات عن التراث، في: دراسات إسلامية، بريدة: نادي التصيم الأدبي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤، ص ٦٩ - ٩٩.
- ١٣ - الاستشراف وأصالة علوم المسلمين: الفقه الإسلامي والقانون الروماني، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ / ٤٩، ص.
- ١٤ - إشكالية المصطلح المنقول للعربية: نظرة عامة ونماذج، (محاضرة) الدمام: منتدى الزامل، ١٤٣٠هـ / ٥٢٢ - ١٤٣٠هـ / ٥١٧ - ٥٢٠٠٩م.
- ١٥ - الإصلاح في المجال الاجتماعي في المملكة العربية السعودية: تحديات التطوير، ١٣ ص، في:

- ١٦ - الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة): جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والغرفة التجارية الصناعية بجدة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ١٠.
- ١٧ - اضطراب المصطلح المنقول من الآخر: نماذج من مصطلحات قلقة، المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م، ص ٣٧.
- ١٨ - الإعلام وأثاره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليات المسلمة، في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: فقه الأقليات ٨ - ١٤١٩هـ الموافق ٢٠٩٨/٤/٣١ - ٢٠٩٨/٤/١٠، ص ١٨.
- ١٩ - الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة، أدنبرة: جامع خادم الحرمين الشريفين بأدنبرة، بمناسبة افتتاح مركز خادم الحرمين الشريفين في أدنبرة، ٨ - ١٤١٩هـ الموافق ٢٠٩٨/٤/٣١ - ٢٠٩٨/٤/١٠ (محاضرة).
- ٢٠ - الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصل من المصطلح، ص ٧٣٧ - ٧٧٥، في: المؤتمر الدولي الثاني : المستشرقون والدراسات العربية الإسلامية ٤ - ٦ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٤ - ٦ مارس ٢٠٠٦م، المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ١٥٦١.
- ٢١ - أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوقات الإفادة منها، العقيق، ع ٢٧ - ٢٨ (رمضان - ذو الحجة ١٤٢٠هـ / ديسمبر ١٩٩٩) - مارس ٢٠٠٠م)، ص ٢٥١ - ٢٧٢.
- ونشرت في: بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في المدينة المنورة في المدة من ٢٥ - ٢٧ محرّم ١٤٢٠هـ، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٥٤٥ - ٥٧٠.
- ٢٢ - البطالة والفقر في البلاد العربية وأثرهما على الخطة الأمنية العربية، ورقة مقدمة في: ملتقى الإستراتيجيات الأمنية العربية: الواقع

- والتطلعات الذي عقدته - جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالخرطوم من ٣ - ١/٦/١٤٣١هـ - ٢١ - ٢٣/١٢/٢٠٠٩م، ٤٣ ص. (نشرتها الجامعة فيكتيّب، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

البنية الأساسية لنظام وطني للمعلومات، مكتبة الإدارة، مع ١٣ ع ١ (محرم ١٤٠٦هـ/أكتوبر ١٩٨٥م)، ص ٢٦٣ - ٢٨١.

التجهيزات الأساسية للمعلومات، مكتبة الإدارة، مع ١٢، ع ٢ (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/يناير - فبراير ١٩٨٥م)، ص ٢٣ - ٣٨.

التجّار والمسؤولية الاجتماعية، القصيم، ع ١١٤ (١٤٢٨هـ/٣ - ٣/٢٠٠٧م)، ص ١٠ - ١١.

التحالف العربي الياباني في ضوء خصوصية الثقافات: البعثات التعليمية بين التأثير والتأثير في ندوة حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي، المعهد الدبلوماسي / الرياض: الاثنين ١٦/٣/١٤٢٩هـ/٢٤/٣/٢٠٠٨م، ٢٨ ص.

التنصير القسري وأثره في التعدي على الحريات الدينية، الرياض: هيئة حقوق الإنسان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ٥٠ ص.

تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسؤولية الاجتماعية (محاضرة)، الدمام: مجلس الحصيني، ١٤٣٠هـ/٥/٥ - ٢٠٠٩م، ٢٤ ص.

تنمية العمل الخيري، الدوحة: مؤسسة عبد بن محمد آل ثاني الخيرية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربي بين الواقع وتطلعات المستقبل، لندن: مركز الإمارات للدراسات والإعلام، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٤٣ ص.

الثوابت والإستراتيجيات في الإعلام السعودي، في: وزارة الإعلام، مسيرة الإعلام السعودي، الرياض: الوزارة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م)، ١١٧ - ١٠١ ص.

- ٣٢ - الحوار الحضاري بين الأمم: إسهام الحضارة الإسلامية في بناء حضارة الأمم من خلال نقل العلوم وصقلها، المنيا: كلية دار العلوم، ٤٧ ص.
- ٣٣ - خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية: عرض لما كُتب باللغة الإنجليزية، حولية المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض)، ع ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ١٠٣ . ١٢٩ -
- ٣٤ - الخدمات المكتبة للمعاقين في المناطق الصناعية، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، مج ٦ ع ٢ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ٦٤ - ٥٥ .
- ٣٥ - خواطر حول إدارة العمل الاجتماعي، الرياض: كلية اليمامة، (يوم الاثنين ٢٢/١٠/١٤٢٧هـ الموافق ١٣/١١/٢٠٠٦م)، ١٤ ص.
- ٣٦ - دار الورقة الخليجية، عالم الكتب.
- ٣٧ - رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب وال المسلمين، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج ١ ع ١ (محرم - جمادى الآخرة ١٤١٦هـ / يوليو - ديسمبر ١٩٩٥م)، ص ٣٩ - ٨١ .
- ٣٨ - العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب، عالم الكتب، مج ع ٣ (١٤٠٥/١٠هـ - ١٩٨٤م)، ص ٤٨٣ - ٤٩٢ .
- ٣٩ - علي كراع النمل، مجلة الحرس الوطني، مج ٩؟ ع ٩؟ (٩٩/٩٩)، ع ١٤٩٩هـ - ١٩٨٩م)، ص ٩٩٩ - ٩٩٩ .
- ٤٠ - العمل الاجتماعي والتحديات المعاصرة، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، (محاضرة).
- ٤١ - العمل التطوعي، الخبر: الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية، ٢/١ (١٤٣٠هـ - ٢٧/١/٢٠٠٩م، (محاضرة)).

- ٤٢ - عوامل يلزم اعتبارها عند التخطيط لبرامج المكتبات والمعلومات في المناطق النامية، عالم الكتب، مجل ٣ ع ١ (١٤٠٢ هـ - ٤/٧)، ص ٦ - ١٠.
- ٤٣ - العولمة الفكرية، دارين الثقافية، ع ١١ (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م)، ص ٢٢ - ١٦.
- ٤٤ - العولمة وتهيئة الموارد البشرية، الدوحة: وزارة الطاقة والصناعة في ٢٣ - ٢٥ / ٢ / ١٤٢٣ هـ الموافق ٦/٨/٢٠٠٢ م. ٣٠ ص.
- (محاضرة).
- ٤٥ - الفكر والعلم والسلطة، ورقة مقدمة في ملتقى الأستاذ معتوق شلبي يوم الجمعة ٢٢ / ٨ / ١٤٢٧ هـ الموافق ٩/١٥ / ٢٠٠٦ م، ١٠٩ ص.
- ٤٦ - كتاب القوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربع لأبي حامد المقدسي (٨١٩ - ٨٨٨) (تحقيق ونشر)، العصور، مجل ٣ ع ٢ (١٤٠٨ هـ - ٧/١١)، ص ٣١٣ - ٣٥٨.
- ٤٧ - كُنه الاستشراف: مناقشات في التعريف والنشأة والدّوافع والأهداف، في: دراسات استشرافية وحضارية: كتاب دوري محكّم، ع ١، المدينة المنورة: كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص ٢٢ - ٦٠.
- ٤٨ - مراصد «بتوك» المعلومات والجامعات العربية، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، مجل ٨ ع ٣ (١٤٠٩ هـ - ٧/١١)، ص ٥ - ٢٨.
- ٤٩ - مستقبل الكتاب المطبوع، عالم الكتب، مجل ٣ ع ٢ (١٤٠٢ هـ - ٧/٧)، ص ١٦٢ - ١٧٠.
- ٥٠ - المسؤولية الاجتماعية: شمولية المفهوم وحداثة المصطلح، (محاضرة).
- ٥١ - المسؤولية الاجتماعية للجامعات في مجال تطوير القطاع الثالث:

تطوير العمل الخيري، ورقة مقدمة لحلقة النقاش حول تطوير العمل الخيري بكرسي الشيخ عبدالرحمن الراجحي وعائلته لتطوير العمل الخيري بجامعة الملك سعود، الثلاثاء ١٥ / ١١ / ١٤٣٠ هـ - ٣ / ١١ هـ . ٢٠٠٩ ص ، ١٥ .

٥٢ - المسؤولية الاجتماعية وشباب الأعمال، بريدة: الغرفة التجارية الصناعية، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م، ٢٤ ص. (محاضرة).

٥٣ - المكتبة الافتراضية والتراث العربي، الدار البيضاء: الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، ٨ ص.

٥٤ - مناهج التأثر والتأثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب، أبها: النادي الأدبي بعسير، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م، ٣٨ ص. (محاضرة).

● ونشرت في مجلة بيادر الصادرة عن النادي الأدبي بعسير.

٥٥ - منهاج التأثر والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: حال العرب والألمان، ص ٣١١ - ٣٣٦، في: المؤتمر الدولي الرابع: الثقافة العربية الإسلامية: الوحدة والتنوع، ١ - ٣ ربیع الأول ١٤٢٩ هـ الموافق ٩ - ١١ مارس ٢٠٠٨ م، المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

٥٦ - منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح، باريس: اليونسكو، ١٤٢٩ هـ / ١٢ / ٣ - ٢٠٠٨ / ١٢ / ٥، ٢٧ ص.

٥٧ - الموسوعة الفكريّة عبد الوهاب المسيري، (محاضرة) النادي الأدبي بالرياض (السبت ٢٠ / ٦ / ١٤٣٠ هـ الموافق ٦ / ١٣ / ٢٠٠٩ م)، ٨٠ ص، ونشرتها المجلة العربية في ملحقها الشهري بصورة كتاب.

٥٨ - نظرة المستشرقين للملك عبدالعزيز وجهوده في توحيد المملكة العربية السعودية، في: المملكة العربية السعودية في مئة عام: بحوث ودراسات، ١٥ مج، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨ هـ، ٤ : ٣٨٣ - ٤٢٣.



- ٥٩ - نقد الاستشراف: مقدمة لرصد ورافي «بليوجرافيا»، مجلة جامعة الإمام محمد الإسلامية، ع (١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م). ص.
- ٦٠ - وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية، مجلة التعاون الصناعي في الخليج العربي (الدوحة)، ع ٨٩ (يوليو ٢٠٠٢)، ص ٥٨ - . ٧٥
- ٦١ - **Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology.** - Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies, University of Western Australia, 2009. 20 p.
- ٦٢ - **Index of Information Utilizaion Potencial (IUP) as an Information Measure,** Arab Journal for Librarianship & Information Science.- v. 7, no. 3 (7/1987).- p. 4 -14.
- ٦٣ - **Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect on the Library and Information Profession.**- International Library Review 14: 3 - 20 (1982).
- ٦٤ - **Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World,** Journal of Muslim Social Scientists, 1982. 18 p.
- ٦٥ - **Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World.- 2** Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information Scientists. Sponsored by the Muslim Students' Association. West Lafayette, Indiana: Purdue University, 1982. 18 p.



